الرواية

مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ

تصدر مؤقتاً فى أول كل شهر وفى نصفه

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة

٣٠	فى مصر والسودان
٥٠	في الممالك الأخرى
١	ثمن العدد الواحد

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

العدد ٤٧ ١٠ ذى القعدة سنة ١٣٥٧ — أول يناير سنة ١٩٣٩ السنة الثانية

فهرس العـــدد

صفحة

١٢٤٢ الزيف ... ... أقصوصة مصرية ... ... بقلم الأديب نجيب محفوظ ... ...
١٢٥٠ مصرع البخيل ... ... للكاتب الانجليزى أرثر كونان دويل بقلم الأستاذ محمد لطفى جمعة ... ...
١٢٦٠ أشق المـدان ... ... للفيلسوف الروسى تولستوى .. ... بقلم الأديب فخرى شهاب السعيدى
١٢٦٥ السعادة الذابلة ... ... للكاتب جوزيف كمل ... ... بقلم الأديب صلاح الدين المنجد ...
١٢٧١ البديل ... ... للكاتب الفرنسى فرنسوا كوبيه بقلم الأديب عادل الجمال ... ...
١٢٧٦ حاجي بابا أصفهانى ... للكاتب الانجليزى جيمز مورر ... بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار ...
١٢٩٤ فهرس المجلد الثانى من الرواية ... ...

الزيف

أقصوصة مصرية

بقلم الأديب نجيب محفوظ

كان المسرح مكتظاً بالنظارة ، حيث كانت تمثل رواية البخيل لموليير ، وكان جمهوره كالمعتاد خليطاً من طلاب التسلية ومحبي الظهور ومدعي الفن وعشاق الخيال . وكان على أفندي جبر المترجم بوزارة الزراعة بين الجالسين في الصفوف الأمامية ، وكان يتتبع التمثيل بين اليقظة والنوم ، واضعاً خده على يده ، ومسنداً مرفقه إلى مسند المقعد . وكان قد طالع في بعض المجلات عن الرواية ما جعله يظنها آية من آيات الكوميدي فجاء المسرح بنفس توافة إلى الضحك والسرور ، ومرعان ما خاب رجاؤه وفترت حماسته وكاد يستسلم للنعاس . ولكن الأقدار أرادت أن تتبرع بتعويضه عن خيبته ، ففي أثناء الاستراحة دنا منه النادل وانحنى على أذنه وقال له باحترام وتأدب : « هل لبك أن يتفضل بالذهاب إلى البنوار رقم ١ ؟ » ثم ذهب إلى حال سبيله ونظر على افندي إلى البنوار رقم ١ فرأى الستار الأبيض مسدلاً عليه فأدرك أن به « حريماً » وقام من توه وغادر الصالة وقصد إلى البنوار وهو يضرب أخماساً لأسداس ، وطرق الباب مستأذناً فسمع صوتاً رخيماً لا يعرفه يقول « تفضل »

فتردد لحظة مريبة لأنه أدرك لدى سماعه الصوت الغريب ، أن في الأمر خطأ ولكنه كان من الرجال الذين تغلبهم على نفوسهم في محضر النساء جسارة غير محدودة وحب المجازفات وثقة بالنفس وطيدة ، فاقتحم الباب غير هياب وصار وجهاً لوجه أمام السيدة الجالسة . وكانت في الأربعين ممتلئة الجسم ناضجة الأنوثة يزين قسمات وجهها الماجي حسن تركي ممصر ؛ ويدل على طبقتها العالية ثوبها الأنيق ونظرتها الرفيعة وحليها الثمينة . وقد بهر الرجل أمام روعة الحسن وانحنى باحترام وهو يقول لنفسه في إشفاق: « وآسفاه! ستعلم السيدة بالخطأ وسرعان ما تنتهي المقابلة » ولكن خاب ظنه، لأن السيدة ابتسمت له تحية كأنه هو المعني وقالت برقة تعرفه بنفسها :

— أرجو ألا يسوءك إقلاق راحتك ... أنا أرملة المغفور له علي باشا عاصم

يسوؤه ! ينبغي له أن يعد نفسه من المحظوظين في هذه الدنيا لأن سيدة كتلك السيدة تقول له مثل ذلك الكلام بتلك اللهجة الرقيقة . ترى لماذا دعته إلى بنوارها ؟ فهو لا يذكر أنه رآها من قبل وإن كان يعلم علم اليقين أنه قرأ اسمها في بعض الأخبار الخاصة بالجمعيات النسائية ، وخيل إليه غروره أنها ربما تكون رأته من حيث لم يرها، وأنها ربما وقع في نفسها منه — كما حدث لغيرها وإن كن لسن من نوعها — ما علقها به ، فاذا صدق حدسه — والدلائل تجمع على صدقه فهي تدعوه كما دعت قديماً امرأة العزيز فتاها ...

وأحس بنشوة فرح وزهو وقال للمرأة بكل رقة وهو ينظر إليها كما ينظر الانسان إلى شيء ثمين يملكه :

— العفو يا صاحبة السعادة .. خادمك ...

وهم أن يقدم لها شخصه العزيز، واستدلت السيدة من لهجته على ذلك فأشارت إليه بيدها البضة وقالت بسرعة وهي تبسم عن در نضيد :

— وهل أنت في حاجة إلى تعريف يا أستاذ ؟! تفضل

وجلس كما أرادت ، ولكن عبارتها الأخيرة قلبت ما بنفسه رأسا على عقب، فعلاه الوجوم وأطفأ الكدر نور السرور في عينيه ، لأنه من المحتمل أن يكون فاتنا محبوبا من النساء وأن تقع في غرامه حرم عاصم باشا ، ولكن مما لا ريب فيه أنه في حاجة إلى تعريف ككل إنسان ، وأنه لم يكن أبدا في غنى عن التعريف ، فماذا تعني السيدة الجميلة بقولها هذا ؟ إنه يكاد يهتدي إلى وجه الحق ، وقد ساعده على ذلك قولها له « يا أستاذ »

فهل تظن السيدة أنه شاعر مصر الأكبر بل شاعر الشرق العربي جميعاً الأستاذ محمد نور الدين ؟ والحق أن المشابهة التي بينه وبين سيد الشعراء معروفة مشهورة ، يعلم بها جميع أصحابه ، وطالما جعلوا منها موضوعاً للتنكيت والقفش ؛ فكلاهما له هذا الوجه المستطيل الذي يحد من أعلى بجبهة عالية ، ومن أسفل بذقن عريضة ؛ وكلاهما له هذا الأنف الروماني العظيم والشارب الشركسي الغزير ؛ ولا اختلاف بينهما إلا أنه أطول من الشاعر وأعظم امتلاء . وهذا يدل على أن السيدة — فيما لو صدق ظنه — لم تر الشاعر إلا في إحدى صوره التي تظهر أحيانا في المجلات والصحف

وأسفاه ! لقد ذاق حلاوة الفوز ومرارة الهزيمة في لحظة واحدة . فهل يتراجع ويرضى من الغنيمة بالاياب ؟ ولكن مثل هذا التردد لم يكن ليخالجه إلا لحظات قصيرة العمر لأنه كان — كما قلنا — يفقد رشاده في حضرة النساء ولا يفكر إلا في انتهاب اللذة واقتناص الفرصة ، فجلس مبتسما على ما به من خيبة مريرة مطمئنا كما ينبغي لشاعر مصر العظيم .

وقالت السيدة :

— سيدي الأستاذ ، إن معرفتي بك قديمة جداً لا كما تظن ، وإن أفضالك على زوجي لا تقدر بثمن ولا يحصيها عد . وطالما منيت نفسي بالتحدث إليك . وكم كان فرحي عظيما الليلة حين عثر بصري بك فلم أتردد في دعوتك . وإني أرجو يا سيدي أن تغفر لي تطفلي ...

فقال علي افندي وقلبه يلعن الشاعر :

— ما أسعدني بعطفك يا سيدتي ! إننا معشر الشعراء لنحرق أرواحنا في سبيل الخلود والشهرة . ومثل إعجابك يا سيدتي أثمن عندي من الخلود والشهرة

فتوردت وجنتا المرأة ورنت إليه بعينين ناعستين وقرأت في عينيه ما حملها على تجنب حديث العواطف وإن كانت تضمر الرجوع إليه في المستقبل فقالت :

— هل أعجبتك الرواية ؟

الرواية التي صدعت رأسه وفر منها إلى النعاس ! على أنه كان حكيما ، فلم يسارع إلى مصارحتها برأيه . ولم تنتظر السيدة جوابه فقالت بثقة :

— لا شك في أنك تعجب بها أيما إعجاب ، لأنها من تلك الفكاهة العالية التي كتبت عنها فصلاً رائعاً في كتابك الخالد « فلسفة الجمال » وقد كان هذا سبيلي إلى تذوق موليير وتوين وشو

فحمد الله أن لم يذكر رأيه الحقيقي وهز رأسه باسماً وقال باطمئنان عجيب :

« البخيل آية فنية رائعة ، وهي من الآيات التي لا تمنح كنوزها مرة واحدة ، ولقد قرأتها مرة

وأخرى . وهأنذا أشاهدها للمرة الثالثة، وفي كل مرة أفوز بحسن جديد

فابتسمت السيدة وقالت :

— إذاً أصاب ظني

فقال علي افندي :

— إنك يا سيدتي آية في الذكاء

ولم يأذن الوقت بالاسترسال في الأحاديث إذ دق الجرس معلنا انتهاء الاستراحة ، فاضطر علي افندي أن يستأذن في طلب الانصراف وقالت السيدة وهي تودعه :

— أرجو أن تشرف قصري بزيارتك

فقال وهو ينحني على يدها :

— لي عظيم الشرف يا سيدتي

— يوم الأربعاء الساعة السابعة مساء ... شارع خماروبه رقم ١٠ بالزمالك

وتنهدت المرأة ارتياحاً وظنت أنها نالت أمنيتها من أعز أمانيها . وكانت مخلوقة سعيدة الحظ كأن الأقدار تتوخى راحتها، تزوجت من رجل من رجال مصر القانونيين المعدودين فتمتعت برجولته وكفاها الموت شر شيخوخته وترك لها مالاً وجاهاً واسماً عظيما ، ولكن ضايقها ظهور منافسة خطيرة لها هي أرملة الدكتور إبراهيم باشا رشدي ، يجري ذكر جمالها — مثلها — على الألسن وتتحدث بثرائها المجتمعات وقد وضعتهما المصادفات في حي واحد وأغرت بينهما بالعداوة والبغضاء ، فكلاهما تتمتع بأنوثة ناضجة وجمال فتان وثروة طائلة ، وتملك قصراً فخما يتيه على قصور الأمراء ، وكانت كل منهما تعتز بنفسها وتود لو يغلب نورها نور الأخرى فتنافستا في اقتناء السيارات الثمينة والتحف النادرة والثياب الأنيقة وتسابقتا في ميدان الظهور تعرضان حسنهما وتنثران حديثهما ، واتخذت كل منهما بطانة من كرائم الأسر والآنسات المثقفات ، وقد علمت حرم عاصم باشا يوماً بأن منافستها دعت إلى تأليف جمعية المرأة الحديثة فلم يرتح لها جانب حتى كونت جمعية تعليم الأميات . وسمعت يوماً بأن الأخرى تبرعت بمبلغ كبير من المال مساهمة في إنشاء مدرسة كبيرة وأن الصحف أثنت عليها جميل الثناء ، فأمرت بتشييد جامع في عزبتها ودعت لالتقاط صوره مصور أكبر مجلة في مصر وطلبت إليه أن يثني على ورعها وتقواها ...

وكان آخر ما نمى إلى مسامعها من أخبار منافستها مالاكته الألسن من أن الموسيقار المعروف الأستاذ الشربيني قد شغف بها حباً ، وأنه لا يفتأ يتردد على قصرها. وأن الأغنية الدائعة «حبيت ياقلبي» التي يتغنى بها المصريون جميعاً وتهفو إليها نفوسهم لحنت بوحي جمالها، وما علمت بهذه الأخبار حتى التهبت نفسها التهاباً . واحترق قلبها احتراقاً ، وتلفتت يمنة ويسرة تبحث عن عاشق « شهير » تصير بحبه حديثاً ممتعاً، وتغدو له وحياً ملهماً، فذكرت شاعر مصر محمد نور الدين ، فهو المصري الوحيد الذي له ما للشربيني من الشهرة والمكانة وهو أجدر الناس بتخليدها في قصيدة كما خلد الشربيني منافستها في الأغنية . وفي تلك الأثناء رأت الشاعر مصادفة في المسرح وكانت تفكر في وسيلة تصل بها إليه ، فهل كنا مغالين إذ قلنا إنها نالت أمنية من أعز أمانيها ..؟

أما علي أفندي جبر فقد رجع إلى مقعده ، وهو يلقي على الناظرين نظرة فاحصة خشية أن يكون

الشاعر الأصلي بين النظارة وقد ساءل نفسه : « ألا يجدر بي أن أفر ؟ » ولكنه لم يكن جاداً في سؤاله لأنه لم يعتد الفرار في ميدان النساء

ولم يأل جهداً في التأهب والاستعداد ليتقن تمثيل شخصيته الجديدة ، فطبع بطاقات باسم محمد نور الدين ورأى عن حكمة أن يلقي نظرة سطحية على مؤلفات الشاعر فذهب إلى مكتبة مصر وطلب مؤلفاته ، فسأله الكتبي :

— كلها ؟ فقال :

— نعم . فقال الرجل :

— للطلب غير ممكن الآن يا أستاذ لأن بعضها نفد والبعض غير موجود في المكتبة فاذا انتظرت إلى الغد ... »

ولكنه قاطعه متسائلا :

— ما الحاضر بين يديك ؟

فقال الرجل :

— دواوينه الأربعة . النور والظلام والجحيم والرحلة الروحية والسماء السابعة وكتاب فلسفة الجمال والرحلة الشرقية والجزء الثاني من كتاب الغد.

وهاله الأمر وأسقط في يده، ولم ير بدا من ابتياعها جميعاً . وكانت المرة الأولى في حياته التي يشترى فيها ديوان شعر لأنه بطبعه لا يحب الشعر ولا يهضمه ولا يجد منوغاً للقوافي التي تقيد معانيه، فلماذا لا يرسل الكلام على سجيته ؟ وإنه لينفث في آذان النساء غزلا يعتقد أنه أرق الكلام وأمتعه؛ ومع هذا لم يشعر مرة بالحاجة إلى تنسيقه في بيت من الشعر . ولم يقرأ من الشعر طوال حياته سوي المحفوظات المدرسية وهو كاره، فما كان يخطر له على بال أن يشترى ديواناً من الشعر فضلا عن أربعة دواوين كاملة ، ولكن قدر فكان

وقد قال لنفسه متبرما وهو يحملها إلى بيته : « أعقل أن يكافئني الحب مالا أو مطاردة خطرة أو صبرا طويلا أو شجاعا عنيفا، أما الذي لا أعقله فهو أن يتقاضاني قراءة هذه الكتب! فهل أنا عاشق أم تلميذ ؟ » وأخذ يقلب صفحات الكتب فغص بالشعر كما توقع ولم يفقه له معنى، ولو كان يسيرا مثل « إذا نام غر في دجى الليل فاسهر » لهان الأمر ولكنه كان من نوع عجيب سهل الألفاظ مغلق المعاني

وهذا غزل نور الدين فما بالك بالأغراض الأخرى التي يجفل قلبه من مجرد تلاوة عنواناتها ؟ والأدهى من هذا وذاك أن نثره ليس بخير من شعره فقد قرأ صفحات في كتاب فلسفة الجمال ما كان يظن أن إنسانا عاقلا ينشرها على الملأ . وضاق صدره بنور الدين شعره ونثره ، فرمى بالكتب جميعا ولكنه قال باصرار وعناد « سأذهب يوم الأربعاء »

وفي الموعد المسمى ذهب إلى قصر السيدة الجليلة بشارع خمارويه ، وكان بادي الوجاهة والأناقة، وأرسل بطاقته إلى ربة القصر، فقاده الخادم إلى (صالون) رائع لم ير أجمل منه على كثرة ما غشى من (الصالونات) الفخمة، ولكنه لم يدهش لأن منظر الحديقة والقصر الخارجي سلبه كل دهشة. وكان يكره الانتظار لأن أمثاله من المغامرين تؤاتيهم النجدة بداهة وارتجالا وتشحذ أسلحتهم في أثناء المعمعة ؛ مثله في ذلك مثل الخطيب المطبوع الذي يلهمه الجمهور المعاني فيتدفق؛ ولذلك أحس بارتياح عجيب حين رآها تشرق عليه من باب الصالون في ثوب أبيض غير كتوم يعلن عن جمال كل ثنية من ثنيات جسمها اللدن ، ويبين خاصة عن الخصر الدقيق الذي يتعلق به كفلاها الثقيلان ، فطرد بقوة إرادته بقية قلق عالقة بنفسه

وانحنى باحترام ، فأعطته يدها فضغط عليها بحنو ثم قال وهما يجلسان :

— لقد حسبت الأيام ساعة فساعة

فابتسمت السيدة وقالت بلهجة لم تخل من عتاب:

— هذا معنى مبتذل لا قرابة بينه وبين معانيك الشعرية الخالدة !

فاحتدم الغيظ فى قلبه ولعن الشعر والشاعر وتذكر قراءته لبعض المعانى (الخالدة) التى لم يفقه لها معنى وعجب كيف تؤثرها هذه السيدة العجيبة على عبارته البسيطة التى طالما نصبت الشراك وغزت الحصون ، وأراد أن يلتمس لعجزه عن خلق المعانى « الخالدة » عذرا فلسفيا فقال :

— معذرة ياسيدتى ، إنى إذا غشينى لألاء الحسن السامى تركت نفسى على فطرتها وهجرت إلى حين المعانى التى يبدعها التفكير والتكلف

فاتسعت عينا السيدة الجميلتان دهشة وقالت بانكار:

— يا عجبا ! ألست القائل يا أستاذ فى مقدمة ديوانك إن شعرك شعر الفطرة والطبع ؟ أو لست الآخذ على شعراء المدرسة القديمة تكلفهم ؟

فأسقط فى يده ووجد أن الحذر لم ينفعه وخشى أن يفقد ثقته بنفسه فقال بلهجة العالم الذى يعنى مايقول:

— إن الشعر ياسيدتى مزيج من الفطرة والتفكير ، والتفكير غير التكلف ، وما أردت قوله هو أن الشاعر فى حضرة الحسن يستبد به الشعور الخالص ...

وأشفق من أن تسأله مثلا عن الفرق بين التفكير والتكلف أو عن معنى الشعور الخالص ولكن السيدة قالت باعجاب :

— صدقت يا أستاذ، ولعل هذا يفسر قولك إن الشعر لا يعبر عن عاطفة إلا بعد أن تسكت ثورتها ويهدأ انفعالها

فهز رأسه مبتسما وقال وهو ينهد ارتياحا :

— وهو الحق المبين يا سيدتي. أرى أن رأسك متوج بتاجى الحسن والأدب

فتورد خدا المرأة وقالت بحماس :

— إنى واحدة من قرائك المعجبين ... وقد قرأت مؤلفاتك جميعاً بامعان وشغف

فقال :

— أين لى بقراء مثلك يا سيدتى العزيزة ... ؟ إن هذا البلد لا يقدر الكاتبين

— هذا حق وا أسفاه على وجه العموم ولكن يقال إن لك جمهورا تحسد عليه يا سيدى الأستاذ ؟

فأشار بيده إشارة تدل على الأسف وقال :

— لو أتيح لى أن أكتب باللغة الانجليزية مثلا !

فسألته السيدة بقلق :

— أو ليس لك الجمهور الذى تحسد عليه ؟

فقال باطمئنان :

— جمهور قرائى يربو على ضعفى جمهور أى كاتب آخر فى الشرق الاسلامى

— يا لها من مكانة سامية !

فهز رأسه آسفاً وقال :

— لقد دفعت شبابى وقوتى ثمناً لها

— أ آسف أنت على هذا ؟

— لا أدرى

— لقد خلدت شبابك فى آثارك الباقية

— أيهما أفضل أن يخلد شبابى كى يتمتع به غيرى أم يفنى وأتمتع به وحدى ؟

— لا تناقض بين الاثنين فانك تستطيع أن

تستهلكه فى متعتك ثم تخلده فى شعرك ، أتسألنى وأنت أستاذى ؟

— هذه سعادة لا تتاح لغير المجدودين

— وإنك لمن المجدودين

فنظر إليها نظرة لو تحولت إلى كلمة لوقع قائلها تحت طائلة قانون العقوبات ، وكان يجيد هذه اللغة ثم قال بخبث :

— إنك ياسيدتي تتحدثين عن حظي كما لو كان مصيره بين يديك

فتخضب وجهها باحمرار طبيعى غلب أحمرها الصناعى الخفيف؛ وما كانت تكره أن يكون مصير سعادته بين يديها ولكنها ادخرت هذا الحديث إلى وقت آخر فغيرت مجراه وقالت فجأة :

— ينبغى أن أنتهز فرصة وجودك معى لأسألك عن معنى بعض الأبيات الشعرية التى أغلق على فهمها

فخفق قلبه خفقة شديدة أيقظته من غيبوبة الغرام وذعر ذعراً شديداً ، إذ أنى له بشرح معانى شعر نور الدين المغلقة وهو الذى لايفهم أيسر الشعر وأسلسه ؟ وخشي إن تردد أن يخسر كل شيء بعد أن أوفى على الفوز فقال بقوة :

— اعفينى يا سيدتى

فسألته دهشة :

— وله ؟ هل يبرم الشاعر بشعره أحياناً ؟

— ليس الأمر كذلك ، ولكن قد يسمو الشاعر حيناً على شعره فيخاله بعض مظاهر العالم المادى، وإنى الآن فى نشوة روحية من تلك النشوات التى تخلق الشعر فكيف أنزل إلى الشرح والتفسير ؟

فغمرتها موجة فرح وسعادة ، وساءلت نفسها قائلة : ترى هل أكون غداً بطلة قصيدة رائعة خالدة ؟

ثم سألته فى لهفة :

— أحقاً ما تقول يا سيدى ؟

— كيف يداخلك شك في هذا ؟ تالله إذا لم تخلق هذه الساعة شعراً فلا خلق الشعر أبداً

فامتلأ قلب المرأة فرحاً ومنت نفسها بأسعد الأمانى .

وفى تلك اللحظة دخلت الخادمة تعلن قدوم زائرات . ولم تفاجأ السيدة — كما فوجئ الأستاذ بقدومهن ، كأنها كانت على موعد معهن وأمرت الخادمة بادخالهن . وبعد لحظة قصيرة دخل ثلاث آنسات حسان يحتار ماء الشباب فى وجوههن ؛ وتلقتهن السيدة بترحيب وقدمت إليهن الشاعر بلهجة فخار قائلة :

— الأستاذ محمد نور الدين سيد شعراء الشرق

وقدمتهن إليه واحدة واحدة قائلة إنهن أعضاء جمعية تعليم الأميات التى تتشرف برياستها ثم قالت :

— إنهن أديبات مثقفات ولكن وا أسفا ، فان ثقافتهن قاصرة على الأدب الفرنسى الذى يتعشقنه إلى درجة أن جعلن الفرنسية لغة حوارهن . وإنى أرجو أن يكون تعرفك بهن ياسيدي سبباً لتوجيههن إلى الثقافة العربية المصرية

فعجب على أفندى لذلك وتساءل دهشاً : ترى هل يعلمن الفلاحات الأميات مبادئ اللغة الفرنسية؟!

واستطردت السيدة تقول للآنسات :

— ستجدن فى صديق الشاعر محدثاً جليلا . ولكنى ما لهذا دعوتكن الليلة، فقد حجزت البنوار الأول فى مسرح رمسيس لنشاهد معاً رواية البخيل، ولا بأس أن يشاهدها الأستاذ للمرة الرابعة إكراماً لى والحقيقة أن السيدة ما قصدت بدعوتهن إلا أن

فتذيع بينهن نبأ صداقتها للشاعر لكي يذعنها بدورهن في (الصالونات) الراقية فيتصل خبرها حتما بعلم منافستها الخطيرة، وما ذهابها بهن إلى مسرح رمسيس إلا لهذا الغرض نفسه

وقد تضايق على افندى من حضور الزائرات وتضايق أكثر من دعوته إلى المسرح، وكان يرجو أن تطول خلوته بها، ولكنه كان يبالغ فى التشاؤم ولا يدرى بالسعادة التى تخبئها له الأقدار، ففى الاستراحة انتهزت السيدة فرصة خروج الآنسات من البنوار وقالت له فى خفر: « ستعود معى إلى القصر » ولم يكن للدعوة إلا معنى واحد، فتساءل على افندى ترى كيف يتخلص من الآنسات، ولكن السيدة لم تعمل لذلك حساباً، فعند انتهاء التمثيل عادت السيارة بهم جميعاً وودعها الفتيات عند مبتدأ شارع نخاروبه، ثم سارت بهما السيارة وحدهما إلى القصر السعيد، فأيقن أنه رغم طول تجاربه جاهل بالنساء، وأنه لم يعرف قبل الآن امرأة متفرنجة بالفضائح!

وكانت ليلة ...

وبعد يومين ذهب على افندي جبر إلى زيارة المعرض الرابع عشر للفنون الجميلة، ولم يكن من الهواة ولكنه كان من محبى الظهور والادعاء، وكان حبه للنساء يدفعه إلى ارتياد الأماكن التى يحتمل وجودهن بها، فمضى يسير فى الحجرات الأنيقة وينظر بعينين فاترتين إلى اللوحات المعلقة، حتى استرعت انتباهه من بينها صورة فلاحة عارية تستحم فى النيل وقد أجادت الريشة تصوير قدها النحيف وثدييها الناهدين وأضفت على سمرة بشرتها سحراً شهوياً عجيباً، فوقف أمامها طويلا لغير وجه الفن وذكر — لرؤيتها — ذلك الجسد البض المكتنز والردفين المكورين كأنهما إسفنجة هائلة متشبعة بالماء، والساقين المكورتين والبشرة العاجية ذات الرائحة الزكية ذكر ذاك الحسن الفتان الذى رمى به الحظ بين يديه قضاء وقدرا ... أى ليلة جميلة! كأنها حلم لذيذ لا يجود بمثله عالم الحقائق. وكأنه أراد أن يتأكد أنه حقيقة لا حلم فأخرج مذكرته وقرأ فيها الموعد المنتظر الذى كتبته بيدها الرخصة ...

كأن المصادفة لم تقنع بما أتت من عجب عجاب، فانه لفى تأمله وتذكره إذ أحس بيد توضع على كتفه فالتفت إلى الوراء فرأى صاحبته الجميلة واقفة بين جماعة من السيدات الارستقراطيات، واستولت عليه الدهشة والارتباك، أما السيدة فالتفتت إلى صاحباتها وقالت بتيه:

— إأذن لى أن أقدم إليكن صديقى الأستاذ محمد نور الدين سيد شعراء الشرق

— فابتسمن له بترحيب إلا واحدة رددت النظر بينه وبين الأرملة وقالت، ضاحكة:

— يالها من نكتة بارعة ياسيدتى!

— فسألتها السيدة:

— أى نكتة تعنين ياسيدتي؟

— فلم تحفل السيدة بانكار الأرملة الجميلة وقالت وهي تحدج على افندى بنظرة استغراب

— رحماك يارب ... الآن صدقت قول القائل « يخلق من الشبه أربعين »

فاحتدمت الأرملة غيظا وقالت:

— إنى لا أفقه لما تقولين معنى

— بل تفقهين كل المعنى وتريدين أن تضاحكينا. والحق أن الشبه الذى بين شاعرنا المجيد وبين حضرة البك شبه عجيب ...

فاشتد الغيظ بالأرملة والتفتت إلى على افندى وقالت:

— تكلم ياأستاذ لتعلم عصمتها أنى أجد لا أهزل

وكان على فى حالة ارتباك يرثى لها وقد خانته جسارته تلقاء نظرات السيدة الجريئة التى لاشك تعرف الشاعر الأصلى تمام المعرفة فلم يجد مناصا من الهرب فتظاهر بالدهشة وابتسم إلى الأرملة الباسمة وقال :

— معذرة ياسيدتى ... يخلق من الشبه أربعين

— وكان يتكلم بلهجة جدية لا تترك أثرا للشك فى نفس السامع، فجحظت عينا السيدة دهشة وانزعاجا، وعلا ضحك صاحباتها وتأملته بامعان وهى تكاد تجن من الدهشة وسألته :

— ألست أنت الشاعر ؟ فأجاب بهدوء :

— كلا ياسيدتى . أنا موظف بوزارة الزراعة

— ألم تقابلنى قبل الآن ؟

— لم يحصل لى هذا الشرف ياسيدتى

— قال على افندى ذلك وأحنى رأسه تحية وذهب تاركا السيدة لصديقاتها الضاحكات ، وقالت السيدة الأخرى :

— إنى أعجب كيف يخدعك البصر إلى هذا الحد ! ألا ترين أنى فطنت إلى الحقيقة من النظرة الأولى ؟ فقالت الأرملة الداهلة تدارى خجلها :

— ما أعجب الشبه بينهما !

فقالت الأخرى :

— ولكن شتان ما بين قامتيهما

وقالت أخرى ساخرة :

— سيغضب « صديقك » الشاعر حين يعلم بهذا الخطأ الغريب !

وغادر على افندى المعرض مضطربا . ولما تنسم الهواء الطلق انفجر ضاحكا حتى دمعت عيناه. على أن الموقف لم يكن يخلو من دواعى الأسف ما دام قد خسر الموعد المنتظر ، وكان يعنى نفسه بأكثر من ليلة واحدة ...

نجيب محفوظ

شركة مصر للملاحة البحرية

تمهد لكم السبيل إلى بيت الله الحرام

بباخرتيها الفاخرتين

زمزم و روض الفرج

وفنادقها فى

السويس — جدة — مكة المكرمة

وبنك مصر يقدم لكم جميع الخدمات ويستبدل العملة ويحاسب المطوفين ويدفع الرسوم والمصاريف

استعلموا من

شركة مصر للملاحة البحرية وفروعها بنك مصر وفروعه شركة مصر للسياحة وفروعها

مصرع البخيل

للكاتب الإنجليزى سير أرثر كونان دويل

بقلم الأستاذ محمد لطفى جمعة

روى دكتور وطسن مسجل أخبار شرلوك هولز ومغامراته قال :

فى هذه الليلة من أخريات الليالى فى شهر ديسمبر سنة — ١٩ كان هولز منشرح الصدر قرير العين ، كعادته كلما دنا عيد الميلاد . كان لا يحب الديكة الحنيذة ولا يميل إلى حلوى البودنج ، وهما اللونان اللذان شغف بهما كل انجليزى تحت السماء ، ولكنه كان شديد الاكتراث باعداد وجبة العيد ، ويكثر من الاستعداد لمشاء أمسية عيد الميلاد ، ويحتفى بها ويحتفل أيما احتفاء واحتفال . فكانت مسز تيرنر منهمكة فى تسوية الديك ، وتدخين فخذ الخنزير ، وخلط الأفاويه والابزار مع الزبيب والبندق والجوز واللوز ... وكان هولز يفرك يديه ، ويدخن غليونه الأبدى . وكان دأبه أن يبدأ الحديث بنفسه ، ولا يبيح لأحد أن يبغته أثناء صمته . فقال :

— أظنك بعد قرانك السعيد الذى كان ثمرة لمغامرة الكنز الدفين لم تشغل نفسك بالحب ... ؟

فابتسمت وقلت : الحب ... ؟ لا أظن ... أتريد حب الزوجة يا مستر هولز ؟

فضحك وقال : أقصد إلى الهوى الذى يتفرع منه العشق ، الذى يصفه ما كس بمبرتون فى قصصه كما وصفته شارلوت برونته وجورج أليوت ... العشق الذى يهيم له الإنسان على وجهه أو يموت كمداً على فراشه

فتجاسرت على مستر هولز ممازحاً وقلت : إننى رجل متزوج ولكنك يا مستر هولز رجل أعزب فهل ... ؟

فقال هولز وقد أبرقت عيناه بريقاً عجيباً : ليس الحب من طبيعتى . الشفقة نعم . الرحمة نعم . حب الانسانية أى نعم . أما الحب الذى تلمع إليه فلا ، ثم لا ، ثم لا ، لأنه قرين بادخال الضيم على المروءة واستشعار الذلة لمن أطاف بالعشيقة كأهلها وذويها

فقلت : ولكن المناقب التى ذكرتها كالرحمة والرقة تنشعب كلها من أصل الحب .

فقال : صحيح ، ولكن ... ثم تناول جريدة التيمس وناولنى إياها ، وقد أشار بعلامة على نبذة قصيرة هذا نصها : « وقد اشتغل مستر هولز فى تحقيق هذه القضية فأغرب فيها على عادته وافترض فيها افتراضاً بعيد الموافقة للواقع ، ففوت على رجال البوليس الرسميين فرصة القبض على المتهمين الذين لا شك قد اتخذوا سبيلهم فى البحر عجباً ، فاستقلوا باخرة كبرى تمخر الآن عباب المحيط فى طريقها إلى نيويورك ، ولا يزال مستر هولز يمزج أخيلته بألفاظه البطيئة ودخان شبقه فى إحدى الغرف الموطأة فى مسكنه العامر ببيكر ستريت » . ففاظتنى هذه النبذة المسممة وقلت :

— لا تبتئس يا مستر هولز ولا تحزن ، فان الدنيا لا تخلو من حاسد باغ ، ومن قائل متكلف ، ومن سامع طاعن ، ومن منافس مقصر

فضحك حتى بانت نواجذه وتجلت أسارير وجهه وبدا لونه كالعاج وقال :

— كما أنها لا تخلو من ذى سلامة فى المنطق وصحة فى النظر وصدق في القصد، ومن رجل شديد المحاماة عن حقوق الضعفاء ، والمطالب بدماء القتلى قليل التسرع إلى أعراض العاملين . فلندع أبطال سكوتلانديارد فى غيهم . ولكن قل لى : هل لاحظت أثناء زيارتك الأخيرة حديقة الحيوان كيف أن مِنْج طفل الغوريلا بدأ يدق صدره باحدى يديه على طريقة يتبعها كل أبناء جنسه حين تشرف على سن المراهقة ؟ فقلت له : نعم . . .

قال : لقد بدأ دور الدق على الصدر منذ ثلاثة أشهر ، أما الآن فهو يدق دقاً منظما بكلتا راحتيه ونحن واثقون أنه اتبع غريزته وأصغى إلى صوت وراثته ، فلم يعلمه أحد ولم يلقنه أحد من الانسان أو الحيوان تلك الوسيلة التى تنم عن مراهقته واستكمال ذكورته . إن دق الصدر علامة على الاهتياج بأنواعه ، عند بعض طوائف البشر وبعض فصائل الحيوان ، هكذا فعلت أنثى الغوريلا مونيا وذكرها موك . ولكن مونيا كانت أشد حذراً من موك ، لأنها كانت تتقى أن تؤذى ثديها ، فهى لا تنسى فى فورة الهيجان ضرورة الحرص على بدنها . والذكر يلطم خديه لا براحة مبسوطة بل بقبضة اليد مجتمعة. أما موك ومونيا ومِنج فقد لطمت وجناتها ودقت صدورها براحة مبسوطة . وإن لذلك لصوتاً رهيباً فى الحديقة ، فما بالك به وسط الغاب فى هدوء الضحى أو سكون الليل

وكنت على شدة إعجابى بحديث هولمز فى كل وقت وانشراح خاطرى بهدوء باله ، قد بدأت أمل حديث الفردة ، وملاحظة لطمها ودقها صدرها ونعيبها واغتلامها حتى كدت أقاطعه . . . فلم أتمكن من ذلك قبل أن قال : ألا تعلم أن جاكلين رضيعة الشمبانزى تُنشأ الآن ومِنج فى قفص واحد . فسوف نرى ما تكسب منه غداً . . .

فى تلك اللحظة أنقذت مسز تيرنر موقفى بدخولها وقالت :

إن سيداً بالباب يطلب لقاء مستر هولمز

فقطب هولمز جبينه وقال : فى عيد الميلاد ، عند سماع الأجراس العذبة ، أجراس العيد ، طارق يريد لقائى ؟ !

فقالت مسز تيرنر وكانت روح الدعابة قد اخترمتها بعد طول المعاشرة والعيشة فى حاشية هولمز المرح :

— فى الحق وبالصدق ، إنه يشبه سانتا كلوز ، فلعله يحمل إليك هدية . . . ولكن شيئاً واحداً يزعجنى بشأنه ، أحب أن ألفت إليه نظر السيدين (تقصد إلى هولمز وإلىّ) إنه لا ينفك يدق صدره بقبضة يده ، ويلطم خده براحة كفه على طريقة مدهشة ، لم يسبق أن رأيتها لأحد من الناس . ربما بعض الزنوج فى معرض كوفنت جاردن أو كريستال بلاس . أما الناس . . .

فدهشت ونقضت غزلى وغضضت بصرى ولم أجرؤ أن أحدق فى وجه ذلك الرجل العجيب الذى يكاد يطلع على الغيب ، ولكننى لم أشأ أن أفجأه بسؤال لأشفى غليل استطلاعى . . . بيد أنه أذن للرجل أن يدخل علينا، ليرى ما شأنه ، فاستأذن على خلوتنا رجل ملتف اللحية كث العارضين ، متخلع الأسنان ، منضن الوجه . وجلس فى المكان الذي أشار إليه هولمز ؛ وما لبث الرجل أن

رفع حاجبيه العزيزين فانطويا على جبين تكاثرت غضونه حتى لكأنها أسطر قاتمة فى صفحة من سحر القدماء ، ثم أخذ يلهث ويقطع الألفاظ ويسرد حديثاً لم نستبن معانيه لغموض تراكيبه فقال له هولمز : هوّن عليك أيها الشيخ وحاول استرداد هدوئك ما أمكنك ، فلا تحل قضية بعجلة وإنى ألمح فيك الرجل الحليم والشيخ الركين . فما هذا الحزن الذى نقلك إلى طبع الصبيان والنساء وإلى أفعال المجانين ، تكاد بعد دق صدرك ولطم خديك تشق جيبك وتنفض حبوتك وتبكى كما يبكى الحدث الغرير وتندب كالنوائح

فقال الرجل : ولدى ! ولدى الوحيد أيها الرجل المنقذ، زين الشباب لم تقع العين على أحسن منه وأعقل

فقال هولمز : إنك بلاريب من مقاطعة كشمير فمذ أى عهد استوطنت هذه البلاد ؟

قال الرجل : انى نزحت من الهند منذ ثلاثين عاماً وكان ابنى رضيعاً ، فنما وترعرع تحت سمائكم وأثرى لحسابه غير قانع بما ربحت من مال ، ولم يكن سفيهاً ولا مبذراً ، وكان مقتصداً لا أنكر ذلك ، حتى أنه لو طلب إليه مال ولو فى مصلحة واجبة الأداء كدفع الضريبة أو سداد دين مستحق تربد وجهه وطار الغضب فى دماغه ، فيمنع ويعصى ويأبى. ولى أخت فقيرة معسرة ، تبعتنا بولديها ، لأنها ترملت ولم يطب لها العيش فى ظلال الفاقة، وأحد ولديها وهو يصغر ابني نشأ فى فقر مدقع فشغل عن التعليم بالجوع، وطمع فى مالنا عن خصاصة، فكنا نبره ونرفده حينا ونمنعه ونحرمه أحيانا . وكان عطائى إياه أكثر ما يحنق ابنى شاهين لال . ولم يزل معذباً أياماً حتى ينسى المال القليل الذى فرجت به كرب ابن عمته

ومنذ أسبوعين غادر ابنى بيت الأسرة إلى قرية ديرهام ليجمع مالا من ثمار ضيعة لنا فيها أثمار الشليك التى تطبخ وتجعل مربى فى أعقاب من الزجاج . وكانت آخر مرة رؤى فيها ، وهو فى سيارة مأجورة نقلته من محطة ديكورثى جنكسن فى طريقه إلى تلك القرية . ثم لم نقف له على أثر

فهمهم هولمز : اختفاء غريب حقاً ! فهل أبلغت خبر اختفائه للشرطة ؟

فقال الهندى : أنا جوهر شاه لال أشهد أنى لم أر قط شرطة أغرب وأعجب من شرطة هذه البلاد . فساعتهم بيوم وبومهم بشهر وشهرهم بعام . وإن روح الدعابة فيهم لأقوى من موهبة الذكاء . والسخرية من المنكوبين أمثالى أنكى من عاطفة الواجب . وقد أصبح أداء الأعمال لديهم نوعاً من حركة الآلات التى لا تشعر ولا تحس

فقال هولمز باسماً : على رسلك أيها الرجل الموتور إنك لا تزال من رعايا التاج والطاعة عليك واجبة فى حق السلطة التنفيذية ، التى لولا قوتها ما استطعت أن تعيش فى هذه البلاد آمنا فى سربك مطمئناً على مالك وحياتك

فقال الهندى : أى أمن هذا ؟ كان أهون علىّ أن أموت وأدفن أو أحرق بديلاً من ولدي الوحيد. لقد قلت هذا القول نفسه للمفتش جريفين ، فلم يهتز ولم يثر . ولما ذكرت له اسمك بعد يأسى من معونته وامتعاضى من طرائق عمله قال لى : عليك به . عليك بمستر هولمز إنه خير من يحلو غمرض هذه القضية ويحل عقدتها . وليس لك عمل عندنا ، فقد استنفدنا وسائل البحث حتى البركة الآسنة نزحنا ماءها ، والقصر العتيق قلبناه رأساً على عقب وكدنا نهدم

جدرانه ، ثم أعرض عنى . وما هالنى إلا نبذة قارصة قرأتها فى جريدة هذا النهار ، تسلقك بألسنة حداد فهرولت إليك

فقال هولمز : وهذا أيضاً لا يبرر نقدك ، فقد أسدى هؤلاء الرجال الأفاضل للعدل خدمات لا تنسى ولا تقدر . ولكن أسهم الرماة وأحذقهم وأصوبهم قد يخطئ الهدف مرة أو مرتين فلا تكون خيبته سبباً فى نسيان إصابته مرات . أنت تتجر فى السجاد واللؤلؤ والأفاويه ؟

— نعم . من قال لك ذلك ؟

— لا تجعل لهذه الظنون شأنا

— ولكنها حقائق لا ظنون فقد ورثت تجارة السجاد الفارسى عن والدى . وهويت تجارة اللؤلؤ هواية عشقتها تقليدا لصديقى صاحب هارنهرو؛ أما الأفاويه فيبعث بها إلىّ واحد من ذوى القربى يقيم منذ ثلاثين عاما فى بطاوى عاصمة جاوه . فقلت للمستر جريفن إنك تقفنى هذا الموقف وتحملنى على هذا المركب ثم تخذلنى هذا الخذلان وتنشينى مثل هذا الذل ، ولو حيرة الخوف من العقاب . إننى أنزل عن نصف مالى بل كله لو أنك رددت إلى ولدى

فقال لى المفتش : أشروع فى رشوة أيها الأجنبى ؟ فقلت : لست وحقك أجنبياً ولا غريباً .

فقال هولمز : دعنا من حديث هذا المفتش جريفن لأنه من أصدقائى الأعزة ويؤلمنى أن تسمى بيننا ، فطالما أسدى إلى خدمة جلى . وقل لى ما مقدار تلك الثروة التى تنيه بها وتبذلها لنجاة ولدك ، فصمت الرجل وتنهد وتلفت يمينا وشمالاً كعادة أهل الشرق فى الحذر ونظر إلى نظرة مريبة . ثم قال : إن قلت مائة ألف جنيه أكون كاذبا ، أو مائتين أكون مقصراً . فسأل هولمز إنك تحمل ميزان رصيدك فى أحد جيوبك . أتملك نصف مليون يامستر لال ؟ فتنهد الهندى وتلفت وقال : قد . قد يكون هذا الرقم قريباً من الحقيقة

فقال هولمز : فاذا مت من غير عقب ؟

فانتفض الرجل وقال : حاشا لكالى وفشنو وكريشنا أن تصح كهانتك . قال هولمز : لا عليك؛ فلا تتطير من سؤالى ، بل أجبنى ! إن مت من غير عقب ، فمن يرث مالك ؟

فبكى الرجل حتى بلل لحيته وقال : ترثنى تلك اللعينة العوراء أختى شاهچيهان كريو

فقال هولمز : ولا أحد سواها

فقال الرجل : زوجتى تحرم وتحرق وتكب على مناخرها فى النار ولا تنال روبية واحدة . فقال هولمز : تفضل يادكتور رطسن وناولنى هذا المجلد الأحمر البالى على الرف الثالث فى الصوان الخامس من اليسار وهو باسفل المطبوعة التاسعة من دائرة المعارف ج ٢٤ حرف ميم ونون . فلما ناولته المجلد المعهود فتحه وقرأ بعض نصوصه وقال :

أية شريعة للوراثة هذه ؟ تكلم يا وطسن ، إن للمرأة فى الشرق مكانة سامية وإن كانت تحرق بعد وفاة بعلها ، فهلا كها قرين ترملها . ومما يدل على تعظيم شأن النساء أن الرجل يستحلف بالآلهة التى لا شىء أعظم منها ، وبالشى إلى أقدس لهياكل ، وبصدقة ماله فيسهل ذلك عليه ولا يأنف منه ، فان استحلف بالطلاق يغضب ، ويرفض ، وإن كان المحلف قاضياً جليلا أو أميراً مهيبا أو حاكما مطلقاً ، ولم يكن الرجل يحبها ، وكانت نفسها قبيحة المنظر قليلة النسب . ولكن هذه

المرأة المسكينة تفقد وجودها وكرامتها يوم يموت بعلها ويلقى بها من حالق ، وعلى ذكر النساء يا وطسن أتعلم أنني فكرت كثيراً فى الأخوات الثلاث من أسرة رونطه شارلوت وامبلى وآن[1] ولست أدرى إلى الآن أيهن أذكى وأقسى قلباً وأكثر تحملا للآلام ، فظهرت علائم القلق على الهندى وتململ فى مقعده ، ولكن هولمز لم يلتفت إليه ولعله كان مكتفياً بدرسه عن كثب . ثم قال لى :

— أتعلم أن فى قصة (جان بار) التى دبجتها براعة شارلوت — حديث المرأة التى تصدق أحلامها، فاذا رأت فيما يرى النائم شيئاً ، فلا بد أن يقع على الحالة التى رأتها ، كأنها تطلع على الغيب ؛ وتعلم سلفاً حوادث الأيام ، فلو كانت هذه الرائية على قيد الحياة لكشفت لنا القناع عن كثير من الجرائم . .

فابتسمت وقلت : لعلك تأثرت يا مستر هولمز بأعمال تلك الجمعية التى يبحث أعضاؤها العلماء فى أسرار الروح والنفس على طريقة تثير الخواطر .

فقال هولمز : إن عقلى كالخزانة المفتوحة تتلقى كل ما تستودعه من الصور والآراء . ثم حول وجهه فجأة نحو الهندى وقال له : وابن أختك هذا البائس المنبوذ أما زال ؟

قال الهندى : نعم ما زال مدقعاً محروماً منحوس الحظ ممنوعاً

قال هولمز : أتراه يعشق فتاة من بنات جنسه أو خريدة أخرى من الجنس الأبيض ؟

قال الهندى : إنه متهتك فى حب النساء من سائر الأجناس يعشقهن ويبتذله فى هواهن ، بقدر ما يبغضه الرزق .

(١) حنه أو حنينة

قال هولمز : وهل يزور تلك الضيعة التى تؤتى أكلها من الأثمار ، أو له بها سكن ؟

قال الهندى : كان يختلف إليها إذ كان وولدى صبيين يلهوان معاً ويلعبان بالأكر والصوالج . وفرق بينهما الفقر . وقد حاول استدراج ولدى ، وقد عثرت مرة على ورقة مكتوبة بالهندستانى فيها هذه الكلمات: «ابن خالى العزيز، لقد تأملت شأن الدنيا فوجدت أكبر نعيمها وأكمل لذاتها ظفر المحب وبحبيبه العاشق بطلبته ووجدت شقوة الطالب المكدى وغمه ، فى وزن سعادة الطالب الناجح وسروره ، ووجدت العشق كلما كان أرسخ وصاحبه به أكلف فان موقع لذة الظفر منه أرسخ وسروره بذلك أبهج .

ووجدتك قد ضربت بالعشق عرض الحائط فكنت البخل من نفسك . وعشقت الرزق وجمع المال ، حتى أبغضت كل شئ . وليس المال بامرأة ولا يعشق إلا النساء ، ورأيت حبهن من أكبر أسباب اجتماع الخير . وها أنت ذا قد امتحنت جمع المال ثلاثين عاماً ، فهلا جربت حب النساء شهراً واحداً ؟ »

وقد لاحظ هولمز غرابة هذا الخطاب ، فعبس ثم ابتسم وقال أخيراً للهندى :

— وأين ابن أختك الآن ؟ وهل شغلته الشعوذة أو السحر يوماً ؟

وإننا لكذلك وإذا بالهندى المتهدم يقفز من مقعده ويدق على صدره بيديه كمن مسه الجن . ثم أخذ يعول وينوح ويقول :

— أتؤمن بالسحر يا مستر هولمز ؟ أتؤمن بالأحلام التى يراها النائم فيما يرى ؟

فحاولت أن أبادل هولمز النظرات ، ولكنه لم

يعبأ بى وركز عينيه اللامعتين فى وجه الرجل ، ثم قال ببطء :

— السحر ... لا . أما الأحلام فنعم . ولكن مادخل حديث السحر والرؤى فى استخفاء ولدك ؟

فقال الهندى : اسمع يا مستر هولمز ... إنك رجل عجيب . الآن فقط تذكرت ، ويرجع الفضل إليك فيما ذكرته

فقال هولمز : وكيف ذلك ؟

— لقد رأيت أمس فى الحلم ولدى يختال فى ثياب جديدة من حرير الشرق وعلى رأسه عمامة ، أى نعم عمامة ، وفى قدميه حذاء أصفر تعود أن يتنعله ؛ وكان صبوح الوجه مشرقه . فلما دنوت منه لأقبله ، لأننى فى الرؤيا كنت عالماً أنه مستخف وأننى أبحث عنه وأخشى عليه الخطر ، فأعرض عنى وقال :

— كيف تتركنى هكذا ؟ أتهدر دمى ؟ ألا تبحث عنى ؟ ألاتبذل جهدك ؟ . فبكيت ، فقال لى : ألا تعرف قاتلى ؟ ألا تعرف غريمك الذى اغتالنى ؟

فقلت : لا . قل لى من هو ؟

فقال : هو الرجل الذى تلقاه عصر هذا النهار هابطاً من مركبة الكهرباء في محطة باسكرفيل ... ثم غاب شبح ولدي بالسرعة التى ظهر بها

فلم يبد على وجه هولمز أى اهتمام ، ولكنه سأله فى هدوء :

— وهل صدقت هذا النذير وقصدت إلى موعد اللقاء ؟ أجاب : نعم

هولمز — فمن رأيت ؟

الهندى — رأيت ... آه ... إنى أختنق ... رأيت ابن أختى العوراء

فانفرجت أسارير هولمز ، وكأنه أفاق من غشية ثم استدرك قائلا :

— هذه أضغاث أحلام . إذا أنتك الرؤى بنبأ فتبينه قبل أن تتهم شخصاً قد يكون بريئاً

فقال الهندى : الأمر لك يا مستر هولمز ... ولكن هل تخدعنا الأرواح إلى هذا الحد ؟

فقال هولمز : لا رأي لى فى هذا . وإن كانت روح والد عملت لم تخدعه قط ... وضحك ... عليك الآن أن تذهب إلى عملك ودارك وأن توافينى فى الساعة الرابعة بعد الظهر فى محطة باسكرفيل ، لتدلنى على المكان الذى لقيت فيه ابن أختك

فقال الهندى : مستر هولمز ... مستر هولمز نسيت شيئاً . لقد أعرضت فى أول الأمر عن محادثة ذلك الولد ابن أختى العوراء المترملة ، قائلاً بينى وبين نفسى : أيبقى الطالح ويذهب الصالح ؟ ما نفع هذا الوغد فى الحياة وهو جاهل متعطل ؟ ولكنه أقبل علىّ ... وكان أصفر الوجه ممتقعاً وقال لى وهو يتلجلج : هل استجد شىء فى الحادث ؟

فقلت : أى حادث ؟

قال : استخفاء ابن خالى

فقلت له : وهل يهمك أمره ؟

قال : كيف لا ، أليس بيننا دم القرابة يجرى فى عروقنا معاً ؟

فأخرجت من جيبى هذا الخطاب الذى تلوت ترجمته على مسامعك وقلت له :

— لو كنت تحبه حقاً ما حرضته على الفسق ، وزينت له ملاهى الشيطان . فبكى وتوارى عنى دون أية تحية

فتناول هولمز الخطاب الهندى ونهض يودع

الرجل وعاد هادئاً ، ثم تناول عدسته المكبرة وأخذ يفحص الخطاب فحصاً دقيقاً

ثم قال لى : علينا الآن أن نمضى لنخرج . أتعرف يا وطسن مبادئ الشيرومانسية ؟

قلت : أبداً

قال : لقد كان هذا الدجال تشيرو على نصيب كبير من الفطنة ، فحاز شهرة ومالاً . هيا ولنلبس ثياب الهنود وعمائمهم ولنتخذ مظهر العالمين بقراءة الكف

وبعد ساعة كنا نجوس خلال الشوارع تحت وابل من المطر . وقد تركنا الديك الرومى الحنيذ والبودنج وتخذ الخلوف المدخن تنى من طبخها وهيأها . أى تنى مسز تيرنر التى رأتنا نترك مأدبة عيد الميلاد فى أزياء غريبة . وما زلنا نسير كأننا على غير هدى — هكذا سبهللاً فى الواسع والضيق من مسالك لندن وجاداتها حتى بلغنا شارع ويلسو ، وهو الذى يربط كنجزواى بدورى لين ، ثم انحدرنا نحو الشمال وما زلنا نسير حتى بلغنا أولد بلانيد ستريت وهو من أظلم الطرق وأضيقها وأقذرها فوقف هولمز متردداً ثم دفع باباً صغيراً فاندفع ودخلنا فى حانة شمطاء ، فاستقبلتنا الساقية بابتسامة عريضة وسألتنا إن كنا نشرب الجمة دسمة ثقيلة ، أم نشربها خفيفة شقراء ، فطلب هولمز الأخيرة . ولمحنا فى أحد أركان الحانة شاباً أسمر اللون منثنياً على نفسه كأنه « كوبرا » غبراء تهتضم الفريسة التى طوت عليها أحشاءها . فشربنا من الجمة جرعة ، ثم نهض هولمز ودنا من الساقية ودفع لها ثمن المشروب وقال لها :

— أتودين أن تعرفى حظك بقراءة الكف ؟

فضحكت وقالت : لقد جاوزت السن التى أهتم فيها بحظى ، وليس لى الآن محبوب أترقبه أو أخشى فراقه

فقال هولمز : وكان مدهشاً فى تقليد الهنود عند ما يتكلمون الانجليزية : لا لا يا مسز تخطئين إذا كان علم الكف يكشف عن الحب وحده فانه دليل الحياة والعقل والأمراض والنجاح وضده أثناء العمر وما يصادف الانسان من السعود والنحوس ، ويكشف عن القضايا الكبرى وما يصيب المرء من حسن الحظ

فناولت المرأة يدها لهولمز فبدأ ينظر فيها بانعام وعند ذلك تحرك الشخص الأسمر المنطوى على نفسه وأخذ يصغى بانتباه

فقال هولمز : إن فى جوارك أو فى حاشيتك أو على مقربة منك شخصاً يهمه الاتهام فى قضية قتل خطيرة

فنظرت المرأة وسحبت كفها من يد هولمز بلطف ، فقال لها :

لا تهتمى فان هذا السر لا يضيرك ولا يسوؤك ، إنه بعيد عنك . قد تربحين فى حياتك المقبلة مبلغاً من المال عن طريق الحظ الحسن . وقد تشترين عقاراً فى مقاطعة ديرهام

فقالت : يالك من منجم صادق . إنها مقاطعتى وربى حيث ولدت وقضيت طفولتى وصباى فى مغانيها . ولا أزال أفكر فى العودة إليها ...

من الخير أن تجلس أيها السيد ، فسأحدد لك موعداً لنلتقى بحيث تسهب فى التنبؤ لى . فعاد هولمز إلى مقعده

ولم يكد المقام يستقر بنا حتى نهض الشخص الأسمر ودنا منا وحيانا بالهندية . ولشد ما كانت

دهشتي عند ما أجابه هولمز بالهندوستانى ، كأفضل مواطن نشأ فى مقاطعة كشمير ولم أكن قبل اليوم أعلم أن هولمز يجيد الهندية كأحد أبنائها

وسرعان ما مد الشخص الأسمر كفه لهولمز فأخذ ينظر فيها ثم قال له بالانجليزية :

حيث أننا جميعاً نجيد تلك اللغة ، فلنتكلم بها . ثم قال :

إنك ولدت فى الهند حتما ونزحت عنها فى سن صغيرة . وأنت يتيم الوالد ، وأمك الأرمل تعيش معك فى هذه البلاد ، وهي شوهاء عوراء ، ولكنها تحبك وتخلص لك . لم يسعفك الحظ لا فى المال ولا فى طلب العلم ، وعندك هوى شديد للنساء . ماذا أرى ؟ كان لك قريب يدانيك فى السن ويفوقك فى الذكاء والغنى . وهو جد بخيل ولكنى لا أراه الآن ... لا أراه على قيد الحياة . وأرى امرأة بينكما تدفعك إلى اغتياله وهى امرأة أجنبية ، لا تهمها حياتك ولا حياته . إن الجثة ...

فبكى الهندى ، وأجهش في البكاء وقال : أنا أعلم أن الجثة تكاد تتعفن ، لولا تلك الحقنة التى أفرغتها بين الجلد واللحم . إن الآلهة تعذبنى

فقال هولمز وهو ثابت الجأش كأنه صخرة لا تتحرك

لنترك التنجيم جانباً ... إننا أبناء وطن واحد أين تلك الجثة ؟

فقال الهندى : فى غرفة هنا فى شارع كورنوال باديستون حيث تقطن المرأة بولى التى أعشقها . لقد خنقته بيدى وهى تحرس الباب . فلم تنزف منه نقطة دم واحدة . وقد وضعناه معاً فى صندوق كبير

فقال هولمز : عليك الآن أن تغادر شواطىء هذه البلاد بأقرب فرصة

فقال الهندى : والجثة ؟

فقال هولمز : لا عليك منها . فأنا أتولى أمرها

فأخرج الهندى من جيبه حزمة من الأوراق المالية وقال : هاك بعض النقود التى وجدناها فى محفظته ، خذ منها ماتشاء أجراً على الخلاص من الجثة

فتناول هولمز النقود وقال له : هيا بنا .

ونهضنا . وخرجنا نضرب فى سواد الليل ، حتى عثرنا على « هانسوب كاب » فاتخذناها إلى أن وصلنا إلى المنزل الذى فيه الجثة فى الصندوق ، فكلفه هولمز بحمله ونقله ، ودعا المرأة إلى مصاحبتنا موهماً إياها أنها ستغادر البلاد مع صديقها وأنه سيتولى الخلاص من الجثة ، واتخذنا عربة من طراز فيكتوريا . حملتنا جميعاً ومعنا صندوق الجثة . وكان المطر قد ازداد انهماره ، حتى اضطررنا للالتجاء إلى قبو تحت سكة حديد لدجات هول ، وهو قبو مزدان بالقيشانى الأبيض اللامع ، حتى لكأنه ألواح من الجليد نشرت تحت الأرض على طول مائة ياردة طولاً وعرضاً وارتفاعاً .

لقد كان موقفاً غريباً حقاً ! ثلاثة رجال وامرأة وجثة .

وكان الهندى الجانى مستسلماً لهولمز الذى اعتبره منقذاً مخلصاً . أما الفتاة بولى فكانت من شر أنواع النساء الانجليزيات قلباً وقالباً ، فلم يزد هولمز على أن يعلم اسم والدها وموطن ميلادها

وقد قضينا هذه الليلة الغريبة أو الهزيع الأخير منها تحت القبو ، حتى إذا كان مطلع الفجر أمر السائق بأن يسير قدما إلى محطة باسكرفيل ، التى تجتمع بها قطر من الترام لا عدد لها مقبلة وذاهبة إلى سائر ناحيات العاصمة .

وكان السهر والتعب وهم انتظار ما يأتى به الغد قد نالت منا جميعا ، ما عدا هولمز الذى كان أنشط ما يكون « منجم هندى » .!

وقضينا وقتا طويلا فى الطواف بشركات البواخر ، ليضمن الهندى وشريكته مرقدين فى باخرة مبحرة إلى أمريكا أو إحدى المستعمرات . وكان هولمز هازلاً لا جاداً ، يقصد إلى تضييع الوقت أوفضيحة القاتلين . وكانت الفتاة الانجليزية بولى تقول بين حين وآخر : أرى أن هذا النهار لن ينتهى بخير أبداً .

فقال هولمز بانجليزية مضعضعة ليتقن تقاليد الهنود :

— ربما صحت الأحلام والنبوءات أيتها السيدة

وفى الساعة الثانية كان الجوع قد أخذ منا كل مأخذ ، فوقفنا فى شارع واترلو على مقربة من ميدان الطرف الأغر ، وإذا بالهندى يقول : «ضعوا على رأسى لحافاً أو غطاء سميكا ، فان البرد شديد

ولكن هولمز قال له : ليس البرد شديداً ولكن هذا خالك والد القتيل قد أقبل . ثم أخرج من جيبه قيد الحديد ووضعه حول يديه وقال لى : تناول رفيقته برفق ولين فتلك عادة معاملة السيدات . فأخرجت على كره قيداً آخر ووضعته حول يديها ونشط هولمز من عقاله ونادى بأعلى صوته « شاهين لال ناوردجى » فالتفت إلينا الرجل ثم جرى إلينا فلم يتعرف علينا لولا أن قال له هولمز: ها هو ذا ولدك قتيلا فى الصندوق وغريمك وشريكته ، ووضع عمامته عن رأسه فأقبل الهندى الثاكل يقبل يديه وقدميه .

فقال له : الأولى لك الآن أن تلجأ إلى المفتش جريفين فقد طبخنا له الطبخة ، وما عليه إلا أن يأكلها . أما نحن فسنعود إلى مستر تيرنر لنشاركها فى التهام الديك المحشو بالأرز الياباني والأفاويه الهندية والزبيب الأناضولى والصنوبر الشامي واللوز الاسبانى والجوز التركى . فقد استحققنا هذه الأكلة التى تنتظرنا

فقال له القاتل : أيها الخائن الانجليزي

قال هولمز وهو ينفخ فى صفارته يستدعى الشرطة للقبض عليهما متلبسين :

— ان كنت خائناً ، فخير من أن أكون قاتلا

فأجهشت بولى بالبكاء ثم ضحكت وقالت لمحبوبها الذى رمته فى أعمق الحفر :

— ألم أقل لك إن النهار لن ينتهى بخير ؟

وأقبل الشرطي وتكاثر النظارة . وانفلتنا إلى منزلنا فى ٤٠ بيكر ستريت

محمد لطفى جمعة

اطلب مؤلفات
الأستاذ النشاشيبي
وكتابه
الإسلام الصحيح
من : مكتبة الرغائب شارع الفلكى لباب اللوق
ومن المكتبات العربية الشهيرة

الشقي المدلل

للفيلسوف الروسي « تولستوي »

بقلم الأديب فخري شهاب السعيدي

كانت تقوم على شاطئ البحر الأبيض ، وقريباً من الحدود الفرنسية الايطالية مملكة صغيرة اسمها «مملكة موناكو» ؛ ولعل لكثير من المدن أن تختال على هذه المملكة بوفرة نفوسها وازدحام سكانها ، فان أهالى هذه المملكة ما كانوا يتجاوزون سبعة آلاف ! وعلى أنه لو قسمت بينهم أراضى المملكة جميعاً لما أصاب المواطن الواحد منهم فدانا ! ومع ذلك كله فقد كان لهذه المملكة ملك حقيقى له قصر وحاشية ووزراء ، وله أسقف وجيش وقادة !

وعلى أن الجيش لم يكن بالجيش العرمرم الضخم — إذ ما كان عدد أفراده يزيد على الستين — فهو مع ذلك جيش له خطره وأهميته فى المحافظة على كيان البلاد ... وكان للحكومة فى هذه المملكة ضرائب على الشعب تتقاضاه إياها شأن بقية الحكومات ؛ فضريبة على التبغ وضريبة على الشراب ، وضريبة أخرى غير هاتين على الرؤوس ... ومع أن الشعب كان كمامة شعوب العالم يدمن التدخين ، ويتعاطى الخمور ، إلا أن ضرائب الحكومة من ذلك لم تكن تسد حاجات الأمير ونفقات بلاطه وجيشه ، لو لم تسعفه ضريبة أخرى من مصدر جديد هو لعبة «الروليت»

فقد كان الناس يتقاطرون من أنحاء أوربا ليقامروا هناك فى دار القمار ، وسواء أربح اللاعبون أم كانوا من الخاسرين فان لصاحب الدار حصته المعروفة من المال . وكان يجتمع له بهذا مال كثير يكون النصيب الأوفر منه للأمير ... وتضخم أرباح الأمير من هذه اللعبة مرجعه أن دار القمار هذه هى الوحيدة من نوعها فى أرجاء أوربا كلها ؛ وإذ كان أمراء الألمان قد منعوا من إقامة أمثال هذه البيوت فى بلادهم لما يقع فيها من حوادث الأجرام والأضرار المتأتية عن خسارة بعض اللاعبين ومقامراتهم ومضارباتهم وانتهائهم عند نزول الكارثة بهم إلى الانتحار بالرصاص ؛ وإذ كان أمير « موناكو » غير متقيد ولا تابع لسلطة من التى يطيعها أمراء الألمان فقد ألغيت دور القمار عند أولئك وبقيت داره هذه الوحيدة فى أوربا التى لا قدرة لأحد أن يتعرض لها بشىء ؛ وظل هو محتكراً هذه الأرباح

وكذلك كان الناس يفدون على « موناكو » ليقامروا فتارة يخسرون وأخرى يربحون ، أما الأمير فليس له فى كلتا الحالتين سوى الربح ... وعلى أن

(*) أصل العنوان لم يكن بالأنكليزية كما أثبتناه وإنما كان معناه الحرفى « عزيز جدا » (Too Dear) غير أن سياق القصة ومعناها أجدر بهذا العنوان الذى لا نراه فى نظرنا مخالفاً لرأى واضع القصة . والقصة بعد هذا مما اقتبسه الفيلسوف عن القصصى الفرنسى (موباسان)

الشقي المدلل

للفيلسوف الروسي « تولستوي »

بقلم الأديب فخري شهاب السعيدي

كانت تقوم على شاطئ البحر الأبيض ، وقريباً من الحدود الفرنسية الايطالية مملكة صغيرة اسمها «مملكة موناكو» ؛ ولعل لكثير من المدن أن تختال على هذه المملكة بوفرة نفوسها وازدحام سكانها ، فان أهالي هذه المملكة ما كانوا يتجاوزون سبعة آلاف ! وعلى أنه لو قسمت بينهم أراضي المملكة جميعاً لما أصاب المواطن الواحد منهم فدانا ! ومع ذلك كله فقد كان لهذه المملكة ملك حقيقي له قصر وحاشية ووزراء ، وله أسقف وجيش وقادة !

وعلى أن الجيش لم يكن بالجيش العرمرم الضخم — إذ ما كان عدد أفراده يزيد على الستين — فهو مع ذلك جيش له خطره وأهميته في المحافظة على كيان البلاد ... وكان للحكومة في هذه المملكة ضرائب على الشعب تتقاضاه إياها شأن بقية الحكومات ؛ فضريبة على التبغ وضريبة على الشراب ، وضريبة أخرى غير هاتين على الرؤوس ... ومع أن الشعب كان كمامة شموب العالم يدمن التدخين ، ويتعاطى الخمور ، إلا أن ضرائب الحكومة من ذلك لم تكن تسد حاجات الأمير ونفقات بلاطه وجيشه ، لو لم تسعفه ضريبة أخرى من مصدر جديد هو لعبة «الروليت»

فقد كان الناس يتقاطرون من أنحاء أوربا ليقامروا هناك في دار القمار ، وسواء أربح اللاعبون أم كانوا من الخاسرين فان لصاحب الدار حصته المعروفة من المال . وكان يجتمع له بهذا مال كثير يكون النصيب الأوفر منه للأمير ... وتضخم أرباح الأمير من هذه اللعبة مرجعه أن دار القمار هذه هي الوحيدة من نوعها في أرجاء أوربا كلها ؛ وإذ كان أمراء الألمان قد منعوا من إقامة أمثال هذه البيوت في بلادهم لما يقع فيها من حوادث الأجرام والأضرار المتأتية عن خسارة بعض اللاعبين ومقامراتهم ومضاربآتهم وانتهائهم عند نزول الكارثة بهم إلى الانتحار بالرصاص ؛ وإذ كان أمير « موناكو » غير متقيد ولا تابع لسلطة من التي يطيعها أمراء الألمان فقد ألغيت دور القمار عند أولئك وبقيت داره هذه الوحيدة في أوربا التي لا قدرة لأحد أن يتعرض لها بشيء ؛ وظل هو محتكراً هذه الأرباح

وكذلك كان الناس يفدون على « موناكو » ليقامروا فتارة يخسرون وأخرى يربحون ، أما الأمير فليس له في كلتا الحالتين سوى الربح ... وعلى أن

(*) أصل العنوان لم يكن بالأنكليزية كما أثبتناه وإنما كان معناه الحرفي « عزيز جدا » (Too Dear) غير أن سياق القصة ومعناها أجدر بهذا العنوان الذي لا نراه في نظرنا مخالفاً لرأي واضع القصة . والقصة بعد هذا مما اقتبسه الفيلسوف عن القصصي الفرنسي (موباسان)

أمير (مونا كو) كان عليا بالمثل القائل : « ليس من نتائج أعمال النزاهة والشرف تشييد شوامخ القصور . » وعلى أنه كان عارفاً بأن اليسر ليس من مشرفات الأعمال فانه لم يجد بداً من إبقاء نظام اليسر على وضعه ليسد حاجاته ، وليعيش عيشة يرضاها ؛ فكان يقيم الحفلات ويولم الولائم ، ويظهر للناس بمظهر الأبهة التي يعهدونها في قصور الملوك .. وكان يمنح المنح ، ويجزل الهبات ، ويشكل اللجان ، ويشرع النظم وينشئ المحاكم ... وكان يعرض الجيش ويطوف بأنحاء المملكة ، ويفعل فعل غيره من الملوك ، ولكن في صورة مصغرة كنسبة مملكته الصغيرة إلى بقية الممالك ! !

* * *

وكان أهل (مونا كو) معروفين بالسماحة ولين العريكة ، فليس بينهم مجرم ولا سفاح ، حتى حدثت منذ سنوات مضت جريمة قتل كانت الأولى في تاريخ هذه المملكة ؛ فاجتمع لها القضاة في يوم مشهود ليتداولوا في شؤون هذه القضية وفق أصول العدل والانصاف . وكان ذلك المحفل المهيب يضم رجال القانون من محامين وقضاة ومحلفين ومدعين عامين . وقد ظلوا يتدارسون نصوص القانون ، ويؤولونها ، ويذهبون في تفسيرها المذاهب حتى أصدروا حكم الاعدام على ذلك القاتل وفق إحدى مواد القانون ! وحمل القرار من بعد ذلك إلى الأمير ، فقرأه وأصدر الأمر بالموافقة على ما يرتأون !

على أن مشكلة واحدة بقيت لتنفيذ الحكم ، إذ لم يكن في المملكة مقصلة ولا كان بها جلاد ! فبحث الوزراء المشكلة وقرروا أن يفاوضوا الحكومة الفرنسية في أمر إعارتهم مقصلة وجلاداً لتنفيذ حكم الاعدام ، وطلبوا منها معرفة ما يقتضيهم ذلك من الأجور . ثم أرسلوا بالكتاب إلى رئيس الجمهورية الفرنسية .

وبعد أسبوع ورد جواب الرئيس قائلاً « إن تكاليف إرسال مقصلة وجلاد تبلغ ستة عشر ألفاً من الفرنكات . » وعرض هذا على الأمير فعجب من استحالة قطع رأس هذا الأثيم إلا بهذا المبلغ الجسيم الذي لا تقوم بشيء منه حياته ! ثم طلب التفتيش عن طريقة أرخص لا ترهق الأهلين بضريبة جديدة يجبرون عليها ، وربما كان من ذلك ثورة جامحة تندلع ألسنتها فتطغى على الأمن في البلاد !

... ودعي مجلس الوزراء للبحث في هذه المشكلة من جديد ... وعندئذ قرر المجلس إرسال طلب آخر إلى ملك إيطاليا . ذلك بأن حكومة فرنسا جمهورية لا ترعى الود المتبادل بين الملوك ؛ وليس أمر ملك إيطاليا كذلك ، فانه — ولا شك — سيرعى حرمة الزمالة التي تربطه بالأمير فيتساهل معه . وعلى هذا فقد كتبت رسالة في هذا الغرض وأرسلت ، فجاء الجواب : « إن من دواعي غبطة الحكومة الايطالية تجهيز جارتها بالمقصلة والجلاد مقابل اثني عشر ألفاً من الفرنكات ضمنها تكاليف الارسال والاعادة » وهذا الأجر وإن كان أقل من سابقه إلا أن المجرم لا يستحق صرف هذا المبلغ

عليه ، وتكليف الرعية بأن يدفع كل فرد منها نرنكين :

وهكذا دعى المجلس ثالثة للاجتماع فتداول أعضاؤه الأمر ، وتناقشوا فى المعضلة لعلهم يهتدون إلى طريقة رخيصة فى قتل هذا المجرم . فقال قائلهم : أو لا يمكن تكليف أحد من الجند بقطع رقبة هذا الأثيم ؟ وليكن ذلك كيفما اتفق إذ المهم أن يموت ! فدعى لذلك قائد الجيش وألقى عليه السؤال ، فجمع هذا جنده وسألهم : أى استطاعة أحدكم لتنفيذ المهمة ؟ غير أنهم لم يجيبوه ولم يرتضوا ذلك منه ، وقالوا له : « إن ذلك ليس من شأننا — نحن — ولا كان مما سبق أن دربنا عليه ! »

هنالك فكر الوزراء وتذاكروا فأجمعوا أمرهم على تفويض النظر فى القضية إلى لجنتين عليا ودنيا ، وأخيراً تم القرار على الاستعاضة عن حكم الاعدام بالسجن المؤبد والأشغال الشاقة . وكان الأمير بهذا يستطيع أن يرى الرعية رأفته ورقة قلبه ، كما أن تلك الطريقة كانت أرخص العقوبات جميعاً ! ووافق الأمير على الحكم الأخير وأوشك التنفيذ أن يتم لولا أن قامت أزمة جديدة تلك هى أزمة إيجاد سجن يقضى فيه هذا السجين حياته . على أنهم أخيراً وفقوا إلى إيجاد غرفة لاقامته ووكلوا به سجاناً يتولى أمر حراسته وإطعامه من مطبخ القصر

ظل السجين فى محبسه تتعاقب عليه الشهور حتى اكتملت عليه سنة تماماً ؛ ولكن بينا كان

مجموعات الرساله

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأثمان الآتية

٥٠ السنة الأولى فى مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة فى مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش فى الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون قرشاً فى الخارج عن كل مجلد

المجموعة الأولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترافات فتى العصر لموسيه ، والأوذيسة لهوميروس ، ومذكرات نائب فى الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعة ومنقولة .

الثمن ٣٤ قرشاً مجلدة فى جزءين

و ٢٤ قرشاً بدون تجليد

خلاف أجرة البريد

الأمير يفحص ميزانية الدولة ويقلب فيها نظره لاحظ أن فيها باباً جديداً من النفقة ؛ تلك هي نفقات سجن هذا المجرم الشقي ، ولم تكن هذه بالنفقات اليسيرة البسيطة، ولا كانت بالسهلة القليلة، وإنما كانت شديدة الكلفة ثقيلة الوطأة على ميزانية الدولة ! فقد كان للمجرم هذا حارس يمنعه من الهرب ، ورجل غيره يتولى أمر إطعامه ! وفي هذا السبيل صرفت ستمائة فرنك من ميزانية الدولة هذا العام ! والأدهى من ذلك أن الرجل في ميعة الشباب ، صحيح البدن معافى ، ولربما امتد به العمر إلى خمسين من السنين! ولو حسب المرء للمسألة هذا الحساب لم يجدها بالسهولة التي كان يتصور . . . وعلى ذلك فقد جمع الأمير وزراءه وقال لهم : « إن عليكم أن تكتشفوا طريقة غير هذه تكون أخف مؤونة وأقل منها نفقة ، فهذه التي اتبعتموها باهظة ! لا قبل لنا بها ! »

وتداول الوزراء الأمر بينهم حتى اهتدى أحدهم إلى فكرة فقال لاخوانه : « أيها السادة ، إن من المعقول — في نظري — أن نفصل الحارس فنقتصد نفقاته . غير أن وزيراً آخر اعترض عليه قائلاً : « إن الرجل سيهرب إن لم يجد من يحرسه . » هنا لك رد عليه صاحبه : إن ذلك ما يريدون إذ لا يهمهم هربه شيئاً !

وتم على ذلك الاتفاق . فرفعوا إلى الأمير تقريراً يشرحون له الأمر فوافقهم على ما يرتأون . وفصل الحارس عن عمله وظل جماعة الوزراء يرتقبون المآل حتى جاء موعد الغداء واشتد بالسجين الجوع ، فخرج بعد أن طال ارتقابه لحارسه حتى يئس منه — إلى مطبخ القصر وأخذ طعامه منه وعاد إلى غرفته وأغلق على نفسه الباب ! وعاد في اليوم التالي فكرر ما صنع بالأمس في الوقت المعين المحدود ؛ وهكذا قبل السجين هذا العناء الجديد ، دون أن تخطر له فكرة الهرب من هذا السجن على بال !

وإذاً فما ترى الوزراء فاعلين ؟

هنا لك اجتمعوا وبحثوا المشكلة من جديد فقر رأيهم أن يصارحوه عدم رغبتهم في بقائه أبداً ، فاستدعاه (وزير العدل) إليه وسأله :

— ما بالك لم تهرب وليس عليك حارس يمنعك؟ إذهب حيث شئت فلن يعنى بذلك الأمير . فأجاب الرجل : — لعلي أستطيع أن أقول إن الأمير لا يعنيه ، ولكن أين المأوى الذي آوى إليه ؟ ولا حيلة لي في الحصول على قوتي وقد وسمتموني بأشنع الصفات بأحكامكم التي أصدرتم علي . وهؤلاء الناس لن يأمنوني بعد الآن على شيء . ذلك إلى أني اعتدت حياة الكسل والخمول فانحطت بالتدريج . لقد أسأتم إلي حقاً ، فقد كنتم أصدرتم الحكم على بالاعدام فلم تنفذوه ؛ ثم استعضتم عن ذلك بحكم الأشغال المؤبدة الشاقة وعينتم لذلك حارساً كان يأتيني بطعامي، غير أنكم — بعد برهة من الزمن — عزلتموه فاضطررت إلى الذهاب بنفسي إلى المطبخ للحصول على ما يكفيني من الطعام . ثم إنكم — بعد ذلك — تريدونني على الفرار ! كلا يا سيدي

كل شيء يصح وليس إلى ما تريدونني عليه من سبيل! اصنعوا ما بدا لكم وافعلوا بي ما حلا لكم غير أني لن ألوذ بالفرار قط!

إذاً فكيف؟

واجتمع مجلس الوزراء يبحث المعضلة بحثاً جدياً حاسماً، ولكنهم احتاروا فيما يقررون! وترددوا في اختيار النهج الذي يرون اتباع السير عليه ... إن الرجل لن يبرح الديار أبداً. وفكروا واحتالوا فما وجدوا غير منح الرجل (معاشاً) يكفل لهم الخلاص منه! وأنهوا الحل الأخير إلى الأمير قائلين: إنه ليس من حل خير من هذا الذي ارتأوه، وهو أن يمنح الشقي معاشاً يقيهم أذاه، ويبعده عنهم؛ فأقر الأمير رأيهم مرغماً وتقرر للمجرم الشقي معاشاً سنوياً قدره (٦٠٠) فرنك فلما أخذ في ذلك رأيه أجاب:

— أما الآن فقد طاب الفرار! على أن تلزموا أنفسكم دفعه إلى بانتظام.

وهكذا حسمت المشكلة. وأخذ الشقي ثلث جرايته مقدماً وغادر المملكة إلى مسيرة ربع ساعة بالقطار!! ونزل قرية ابتاع فيها أرضاً بالقرب من حدود بلاده وزرعها متجراً بثمارها وغلاتها وعاش في راحة واطمئنان. وكان كلما حان موعد معاشه ذهب فاستلمه ثم اتجه إلى مائدة القمار فقامر عليها بفرنكين أو ثلاثة مكتفياً بهذا القدر اليسير ورجع إلى مهجره يستأنف حياة الدعة والراحة.

ولعل من حسن طالعه أنه لم يرتكب جريمته الأولى في قطر آخر ترخص فيه أثمان قطع الرقاب وتقل فيه تكاليف الايداع في أعماق السجون مدى الحياة!!

فتحي شهاب السعيدي

الفصول والغايات

للفيلسوف الشاعر الأديب

ابي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته، وفي أسلوبه، وفي معانيه. وهو الذي قال فيه ناقدو أبي العلاء إنه عارض به القرآن. ظل طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة في القاهرة وصدر منذ قليل

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن نازلي

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد

ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة

ويباع في جميع المكاتب الشهيرة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة «الرسالة»

الثمن ١٢ قرشاً

السعادة الذابلة

للكاتب المصري جورج كنعان

للأديب صلاح الدين المنجد

كنت وأنا في بسمة العمر ونضرة الشباب ، أقضي الليالي بين أتباع القيصر ممن تخلى عنهم الحظ فتركوا موسكو فارين من عسف الثورة وجور القادة ، يحملون بين شغاف القلب لهفة على الحظ الآفل ، وحنيناً إلى الربع الآهل ، وأسى لذاك العهد السعيد

ما أدري ما الذي كان يحبّب إلى هذا الصحب الذي صرعته الخمر ، وسبت عقله الشهوة ، وأنهكته البلايا ... وإن كان يستهويني منه لباسه القوقازي الجميل ، المفعم بالألوان المشرقة ، الذي ينعكس جماله على لَعَس الشفاه الذابلة عند الغواني ، وضلال النظرات في الرجال ، ويغريني بعشرته أنغامه المطربة ، ورقصه الضاحك ، وحركاته المتوحشة ، التي كانت تملك علي أمري ، وتدفعني إلى البقاء معه أبداً ...

لقد كنت أشعر ، كلما تمثل في خاطري مصيرهم الباكي ، كأن دمي قد نضب وغاض ؛ فأرثي لحالهم ، وأبقى إلى جانبهم ، أسرى عنهم ما يشجيهم منذ هجروا الأوطان . فأمضي وقد تنبه الليل ، هامعاً على وجهي في طرقات باريز الحالمة ، أستمع إلى أنين المذاري وعربدة الفتيات ...

لقد علمت من أقاصيصهم كل عجيب ، وسمعت من أحاديثهم كل طلي ، ونظرت إلى رعابيبهم نظرة الرحمة من خلال الدامع . . . أولئك الشقر النواعم واللائي احترفن الرقص والغناء بعد أن ذقن الهناء وتمرغن في أحضان النعيم ...

يا رحمتاه لهن ... ! أكتب عليهن الشقاء في هذه الحانات الباريسية الضاحكة للذة ، الغارقة في الفجور ... ؟ يجالسن السكارى والمعربدين ، ويحدثنهم عن أنباء حياتهن وأقاصيص بلادهن ، وطرائف مغامراتهن ، عند ما كان العيش غضاً والزمان غلاماً ... ! حتى إذا ما هرم الليل ، قمن نشاوي من السكر متعبات من الكلام ، ليرتمين فوق فرش الحرير ... !

إن اعترافاتهن لمشجية ، ما كنت لأرتوي منها أو أمل . . . كنت أستمع من تلك الشفاه الرقيقة أحاديث لذة تصور لي الامبراطورية الخالية ، في نعيمها وبؤسها ، وظلمها وجورها ، وتمثل لي أيام الارهاب ولياليه المترعة بالحب ، المفعمة بالدماء ...

لقد فقدن الكبرياء ... وصدف عنهن العز ... وما أحوجهن إلى نديم يسألهن ويستطلع دخائل قلوبهن ...

إيه باريس ... ! كم سمعت في زوايا شوارعك ... أمام موائد الخمر التي غمرت بروائح النبغ والعطر ... أحاديث البؤساء ، وكلام المتعساء ... التي ترقص بين كلماتها أشباح القوة العابسة ، والظلم القاهر ، والموت الرهيب

حنانيك قارئي ! ماذا تريد أن أسمعك ؟ أقصة ذلك الأمير القوقازي ، الذي أحب الحرب وعشق البطولة ... ومات بعيداً عن صهيل الخيل ... في أحضان حبيبته ؟ أم قصة تلك الراقصة التي صرعتها

نظرات راسبوتين الملتهبة ، وأغوتها جنته الزاهية ؟ أم قصة رئيس الوشاة عند القيصر ومغامراته اللاهية ... ؟ ما أدري عم أحدثك . . . وهل أستطيع يا ترى أن أكتب كل ذلك دون أن أفقده روعته وجماله ... ؟ ما أدرى ... ما أدرى ... !

تعيسات أنتن يا غوانى الحانات ... ! أنا أشفق عليكن ... وأبكى لكن ... تدفعن دائماً رواد كن لأن يتجرعوا كؤوس الخمر وأكواب الشمبانيا لتلذهن بمرآهم ... ألا بئس العيش وبئس المصير !

إستمع إلى يا قارئى ... فقد أطلت ...

* * *

كانت فيرا بتروفنا جميلة جمال الورد الرفاف بالندى عند الصباح . أصابها داء القلب أيام المسغبة والارهاب فى روسيا ، فاضطرها إلى الاخلاد للهدوء والراحة ... وكنا جلوساً حول مائدة رأستها ، وأخذت تعمل كل ما أتقنته مذ كانت بنت عشر وثلاث ، لتدخل الفرح إلى نفوسنا ، والطرب إلى رؤوسنا . وكان شيطانها يوحى لها ما يسر الخاطر ويبهج القلب ، فكانت تبتسم بفمها وتغمز بعينها ، وترسل الغناء من ثغرها ... متدفقاً حتى لتحسب أنه قطع من نفسها تجود بها وهى تضحك وتلهو

وكان يفيض من وجهها حزن بائس جميل . فيغمرها السحر وتحيط بها الفتنة وترسل من عينيها نظرات كلها إغراء وحنان . ويتكلم جسمها بحركاته العابثة الرخوة فتزهف الأفئدة ، وتسلب العقول ، وهى نشوى من الفرح ، سكرى من الفجر . فهذه لحظات نادرة . ولن ترانا كل يوم .

قلت لى بصوت حزين :

— إنك ترثي لى ياسيدى . ولن تستطيع ، مهما فعلت ، أن تخفى هذه الشفقة التى لا تبدو فى نظراتك ، وتفيض من كلماتك . إن عيشى لمر ، ولكنه ناعم هنيء . آه لو رأيتنى قبل عشر سنين ! إذن لأنكرتنى ، ولما عرفتنى . ربما دلنك على شعورى البيض الذهبية التى لم تتبدل فى . نعم . أما جسمى ووجهى فيالأسفا عليهما ، لقد تبدلا ... وغاض جمالى وتولت فتنتى . أواه ياسيدى أواه ! كنت أغنى وأنا طفلة غضة ، فاذا تعبت ومللت ، وأثملنى الكرى ، أيقظتنى أمى بصفعة على وجهى ، وبجرعة من الفودكا وبلفافة من التبغ .

لقد حدثتك عن زوجى كثيراً حتى غدوت أخشى أن تمل . ولكن ماذا أفعل . أنا أحبه حب المرضعات لأطفالهن . أواه ، ما أشوقنى إلى عهده ، لقد كان من أبناء الأشراف الذين ملكوا الثروة والجاه ، فتزوج منى وأنا جاهلة خاملة .. حتى إذا ما فقد السلطان وأضاع الثروة جاء يبكى بين يدى يطلب الرحمة والغفران . !

لا شيء يبدل عيش الفتاة كنظرات الرجل يسددها إلى عينيها فيغريها . لقد كانت نظراته حالمة ماؤها العطف والحنان ... إنها لم تخلق لترى الحياة ، بل لتشهد أشياء أعذب وأحلى .. لتشهد الحب ولياليه . !

لقد بدأ الهرم يدب إلى على الرغم من شبابى الغض مذ غابت عنى تلك النظرات. لك الله يا زوجى! لقد أودعوه فى السجن ، لأنه من أبناء الأشراف . ولأنه لم يعرف من الدنيا سوى الموسيقى وزوجته فيرا. كان يعزف فأغني وأرقص . إنه نبيل ياسيدى ، ومثل هذه الخلة تكفيه ليودع فى السجن .

كان أملى فى إرجاع الحرية له واسعاً سعة البحر

السبيق . ولكنى شعرت بأنني وحيدة لا يرعانى أحد وما كنت لأخاف على نفسى من شر أولئك البولشفيين . فلقد كانوا فى أحرج أوقات الارهاب يتهافتون علينا تهافت الذباب على الحلوى . تلك خلقتهم . . . إنهم يعبدون المرأة . لقد استطاعوا أن يسيئوا إلى كل إنسان ، ولكنهم لم يسيئوا إلينا أبداً .

وبدأت أحس الجوع وأشعر بالبرد يأكل من جسمى ، ولكنى لم آبه لهما ، فأنا ابنة قوم علمهم الشقاء والطواف حول الأرض الصبر على الخطوب

وكنت أتنقل بين الأندية والحانات أغنى للعمال ، فأعطي قليلاً من الدقيق والسمك والبطاطس . ولم أطلب المزيد وحولى آلاف النسوة يبكين من الجوع ويقضين من القر .

ما أستطيع أن أصف لكم ياسادتى ما كانت عليه روسيا فى شتاء ١٩٢٠ . لقد كان الجوع يهلك الأجسام ويوهن القوى ، وكان شبح الموت يرقص فوق رأس كل إنسان ، فى تلك الشوارع المغطاة بالثلج التى لا تسمع فيها نأمة ولا حركة ولا ضحكة . كل شىء هادىء فيها يمثل العدم والفناء . آه ! ما أدرى أترتسم فى مخيلتكم مدينة لا يضحك فيها أحد أبداً

وكان الارهاب قد بلغ أوجه ، فأصبحت مقادير الناس بين يدى أولئك ، كانوا يقتلون الحريات .. ويقتلون النفوس . وعصفت العصبية فى رؤوسهم فأضحت السجون مقابر والمقابر سجوناً . كانت موسكو آنئذ مملوءة بالوحوش المتبلدين الذين فقدوا الشعور ونسوا عذاب الضمير ! ..؟

بماذا أحدثك .. إستمع إلى :

كان ذلك بعد أن فقدت فاسيلى بأسبوعين .

كنت فى طريقى إلى الدار ، وكان الليل قد أظلم ، وأوحشت الأزقة والشوارع ، واستولت عليها رهبة الموت ، فرأيت شبحاً هزيلاً يتبعنى حتى إذا ما كدت أصل إلى دارى ، هجم على .. وأمسك بيدي .

لم أستطع أن أتبينه . . . ولم أشعر بخوف أو وجل ... إنها امرأة ... ربما كانت فقيرة سغبى تطلب ما تأكل ... أو مجنونة أفقدها الجوع عقلها

وتلفتت يمنة ويسرة ، ثم قادتنى إلى ثغرة فى أحد الجدر تراكم فيها الثلج ، ثم ضغطت على يدى وقالت بصوت متهدج :

— فيرا . . . فيرا . . . يا حسنائى . . . هل تعرفيننى . . ؟

فأرعبنى صوتها الخافت ، واعترتنى رجفة خفيفة . . . إنها تكلمنى بلغة قبيلتى النورية ، التى كنت أسمعها وأنا بين المضارب والخيام

لقد نسيت تلك اللغة ... ولم يبق منها فى رأسى إلا ذكريات ، فشعرت كأن قسما من عمرى قد انمحى ، وأن زوجى .. وأيامه الغر ، ولياليه الطيبة ، وبذخه وترفه .. كل ذلك قد انتهى ، وتخيلت عهد طفولتى إذ كنت نورية صغيرة لا ملجأ لى ولا مال .. أطيع الشيوخ وتسيطر على النساء

وهمست العجوز فى أذنى :

— فيرا ... ! ما بك ... أنا ماريا .. عمتك ..

ماريا . . . عمتى ... الآن فهمت ... لقد كانت مولدة للنساء ، ونائحة على الأموات ، وخادمة فى الدور ... يا لله ... إنها بلغت من الكبر عتيا ، وما تزال كما عرفتها يوم عرفت الدنيا . . لقد باعتنى مع أمى .. ثم سرقتنى .. ثم هيأت لى أسباب العيش بعد ذلك مع زوجى ...

وربتت على كتفى وقالت :

— فيرا . . . يا حسنائى . . . غداً فى الساعة التاسعة . . . سأنتظرك فى عربة تقف على مائة قدم من دارك . . . على جهة اليمين مما يلى الطريق . . . إياك . . . أن تتركى الفرصة تمضى . . . ستساعدين زوجك ...

ثم تركتنى واختفت فى الظلام

وفى مساء الغد . . . خرجت من دارى أمشى وأنا أعد الخطى . . . وأعلل نفسى برجل أبتز منه دراهمه بعد أن أسقيه العذاب . . . إن عمتى علمتنى كيف أعذب الرجال

ووجدتها فى عربة عتيقة .. فصعدت إليها .. ثم انطلق الحوذى فى طريقه لايتلفت إلينا . وأخذت العجوز تكلمنى .. ثم لمست صدرى وقالت :

— وهذا الفراء الناعم يا فيرا . . . ألا تشعرين بنعومته ؟

فارتعشت من قولها ، وقلت لها :

— إلى أين تقودينى يا عمتاه .. إن لم تتكلمى فسأرى بنفسى .. هيا .. هيا ..

فراحت تداعبنى وتمر يدها اليابسة المرتجفة على عنق البض .. ثم ضحكت وقالت :

أأعمتك السعادة يا فيرا حتى غدوت ما تعرفين طريق قبيلتك ؟ آه منكن يا صبايا النور . . !

فصمت .. وأغمضت عينى ، وأنصت إلى صوت العجلات .. فوق الثلج المتجمد .. ثم وقفت العربة ونزلت منها إلى مرابع طفولتى

* * *

ما أجملك يا أرض قبيلتى !

لقد كنت قيثارة أوتارها النساء . . . وكنت لا تعرفين إلا المرح والغناء ، وكان كل ما فيك يمثل الحياة ويبعد معنى الفناء . . . هنا أصوات عذبة تشدو . . . وهنا فتيات نواهد يرقصن ... وهناك حلقات الأقاصيص والسحر ... وإلى جانبها تهرق أكواب الفودكا وكؤوس الخمر .. نعم كانت أرض قبيلتى مرتعاً للجمال واللهو والشعر !

يا حسرتا عليك يا أرض قبيلتى ! ... ماذا أرى الآن فى جنباتك ؟ ... فارقتك النوائى فأوحشت ، واختفت أنغامك فهجرت ، وتهدمت دورك ، فأقفرت ... شد ما يحزن المرء يا سيدى عند ما يرى وطنه تعدو عليه العوادى وترهقه المحن فيغدو يباباً بلقعاً ...! إنه ليحزن ، لأنه قطع منا ، ولأننا قطع منه . ويا ليت شعرى هل يستطيع المرء أن يدع قطعة من جسمه . ما أدرى إن كانت أيامك الزهر ، يا أرض قبيلتى ، ستعود إليك ... وهيهات أن أراك كما تركتك ...! لقد تفرقت حسانك بين جنات استنبول وحانات برلين ، واختفت رجالك فى مقابر روسيا ، وكهوف باريس ... وتلاشت أنغامك بين الأرض والسماء ...!

وقفت مذهولة من روعة الذكرى ... ثم قادتنى العجوز ، ومشى أمامنا الحوذى المتنكر . وكان صوته يملك على أمرى ، ويدفعنى نحوه . إنه صوت بائس ... كأنه لا يبالى الدنيا . لقد سمعت أصوات أولئك الذين كانوا يشدهون من أنغامنا الحزينة بين الخيام ... وأصغيت إلى أصوات الذين عذبتهم الثورة ، وآهات من فقدوا الثروة ، ولكنى لم أستمع قط إلى صوت مثل صوت هذا الرجل أبداً

ودقت العجوز باباً حقيراً فدخلناه . ونزع الحوذى رداءه ورماه ، ثم وقف أمامى وقال :

لو كنت أعرفك يا فيرا ... لما أتيت إليك ...

أنا أنيناسي لوليش بروبوف

يالله من رجل ثائر ... ثائر حتى على نفسه ... كان ميت القلب والنفس ... وكانت تبدو على وجهه طلاوة الجمال وسحر الشباب . وكانت عيناه عميقتين صافيتين ، وكان يعيش فى هذه الدار التى يحسبها المرء كوخاً حقيراً ، عيشة رافهة ناعمة ... لا يأكل إلا ماله وطاب ، ولا يلبس إلا الثمين الفاخر ، ولا يعاشر إلا أجمل الفتيات ... فقد كان من أبناء الأشراف الذين يعلمون أنهم إن عاشوا اليوم فسيموتون غداً

وأعانى على نزع ردائى الثمين ... ثم دفع باباً خفياً فى الحائط وقال لى :

— أهلا بك يا فيرا ...

ودخلت إلى بهو متسع كبير ، زين بالدمقس وبالحرير ، وفرش بأنفر الطنافس وأجمل الأثاث . وكان فى منتصفه مائدة حفلت بأنواع الخمور وأطايب المأكول ... قل أن تجدها عند أحد فى ذاك الشتاء القاسى ، وهذه السنبة القاتلة . فدهشت ، وسال لعابى ، وتلمظ فمى ، والتفت لأسأله فنهانى عن الكلام ، ثم أجلسنى وجلس أمامى ، وملأ كأسين من الفودكا الذى لم أشربه منذ عامين ... وأخذت آكل ... يا للحم الطرى ... والسمك اللذيذ ... والفودكا الملهبة ، لقد أكلت كثيراً ياسيدى ... على عجل ... كنت لا أمضغ ولكنى أبتلع ابتلاعاً

فلما فرغت قال لى : أتدرين يافيرا لم أتيت بك ؟

قلت : لا أدرى ياسيدى . قال : من أجل صوتك . فأنا لا أريد أن أمضى عن الدنيا دون أن أتمتع بكل لذيذ فيها . لقد عرفت كل فتيات موسكو وعاشرتهن ولم يبق على إلا سماع صوتك المسكر ... سأسكر يا سيدتى مرتين فى هذه الليلة ... من الفودكا ... ومن صوتك العذب ؟

قلت له : ومن يعيننى ياسيدى ؟

قال : أنا

وقام إلى ناى صغير وراح ينفخ فيه ... ورحت أغنى طوال الليل ... حتى ثمل وسقط على الأرض لا يحس ولا يعى

* * *

استيقظت صباح الغد ، وأنا أحسب أن ماحدث لى فى هذا الكوخ النورى حلماً لولا حرارة الغطاء الناعم المصنوع من جلد الدببة البيضاء . وفكرت فى المساعدة التى سأقدمها لروحى من هذا الكوخ فلم أجد شيئاً ... أنا أغنى وأشرب وأطرب وهو يئن فى سجنه .. وكيف يتاح لمثل أنيناسى أن ينقذ فاسيلى ... إنه نبيل لو علم به الشيوعيون لما تركوه . ثم قلت لنفسى : ويحك يا فيرا ... إنهم إن يعلموا بك يبقوك فى السجن ولو إلى حين ... هلا فررت .

وتركت الكوخ سراً وفى النفس عزم على ألا أعود إليه ... ووجدت شقائى فى غرفتى ... ولم تمض ليال حتى رأيت العجوز تعود فتلح على أن أذهب فى الغد إلى المحل المعهود ... وصفقت نفسى طرباً ... إن صوته ليغوينى أنا التى أغوى ...

وذهبت عشاء اليوم الثانى ... فغنيت له ... ولكن ... مسكين ... إنى لأتمثله الآن يا سادتى ، وأراه وكوب الشمبانيا أمامه ... مطرق الرأس ، كاسف البصر ، ساهم الوجه ، تتساقط على وجنتيه الدموع فتختلط مع ثمالة الكأس ... لقد كان حزيناً ... فسكت ... وقلت : أنيناسى ... ما بك ؟

قال : أنمى بربك يا فيرا ... ولا تقاقى ...
فعدت أغنى ... وعاد يبكى ... حتى ثمل ونام

* * *

وما زلت أتردد على أنينامى ... حتى كانت النهاية التى كدت أموت فيها ...

كنت معه ذات ليلة نشرب الفودكا ونغنى ... وفجأة سمعنا لغطاً وضجيجاً .. ثم فاجأنا البولشفيون ورأوا هـذا الكوخ المملوء باليواقيت ، المفروش بالطنافس . لقد كان صاحبى يشرب ... ثم على حين بغتة كسرت كأسه ... وسال ما فيها فوق الغطاء ...

مسكين يا صاحبى ... لقد دنا أجلك !

ودخلوا يرسلون أصواتهم الوحشية وينادون : « ها هو ذا ... أقتلوه ... أقتلوه ... الشعب يموت وهو يشرب ... » وانقضوا عليه يرشقونه بألسنة حداد ويوسعونه لكما وضرباً . وهو صامت ساكت . ثم جرد كبيرهم مدية طويلة وضرب بهـا عنقه ، فتدحرج رأسه فوق المائدة ... واختلطت دماؤه بالفودكا والشمبانيا ... وطفق المتوحشون يشربون !

أما أنا ... فقد التفوا حولى ... هذا يقبلنى ... وهذا يلكمنى ... وذاك يجس بدنى ... ورابع يصب الخمر فوق رأسى ... ثم ساقونى إلى السجن المظلم الرهيب ...

بقيت فى السجن أياماً لا أرى فيها أحداً ولا أكلم مخلوقاً . وجاءت إلىّ عمتى ذات يوم تخبرنى بأن زوجى قد قتل فى سجنه ، وأن جثته رميت فى الأزقة ، وقد عثر عليها مع جثة أنينامى

وقفت عند سماع ذلك شاردة اللب زائغة العينين ورحت أبكى ... وفكرت أن أقتل نفسى ولكن .. ولكن ... كيف أموت دون أن أثأر من هؤلاء لزوجى !

لقد هيأ الله لى أسباب ثأرى ... فقد كان حارس السجن رجلا خشناً غليظاً ، ولكنه كان يميل إلىّ ... ويسمعنى كلمات الحب ... وجلست إلى جانبه ذات ليلة ... أستمع إلى أحاديثه ومغامراته وفجأة علمت أنه قاتل زوجى .. فلم أظهر له ما يجلب له الريبة فىّ ... و ...

وأشعلت فيرا لفافة وأرسلت دخانها الأسود إلى الفضاء ... وهى تتأوه وتنظر إلينا نظرات حزينة قلت لها : « ثم ماذا فعلت »

— هه ... انتقمت ... راودنى عن نفسى .. وكان سريره إلى جانب باب السجن فاضطجعت معه فيه ... وقد ثمل ... ثم أخرجت خنجرى الذى أخذته ذات يوم من عمتى ، وغرسته فى عنقه ... وجلست فوقه ... فاستغاث وصاح فلم يجبه إلا الليل البهيم !

لم أستطع أن أزيل الدم الذى تسرب من عنقه إلى صدرى وجسمى ... إذ سرقت المفاتيح . وفررت ولقد لحقوا بى يريدون أن يقتلونى ولكنهم لم يستطيعوا إلى ذلك سبيلا .. وماذا أريد من الحياة .. أو أطمع بعد ذلك ... لقد عرفت زوجى فأخلصت له ... وثأرت ممن قتله ...

إنى أعيش الآن يا سادة عيشة لا تتاح لكثير من النساء .. ولكنى لم أعرف طعم السعادة بعد أن تولى زوجى ... إن الزوج هو كل شىء فى حياة المرأة ... فاذا غاب عنها ذبلت سعادتها

لقد مضى وخلف لى زفرات أصعدها كلما مثلته لخاطرى ... ما أحسبها إلا أنها قاتلتى يوماً من الأيام

صمت الرجل المجهد

البديل

للكاتب الفرنسي فرنسوا كوبيه

بقلم الأديب عادل الجمال

كان يبلغ العاشرة من عمره عند ما قبض عليه للمرة الأولى بتهمة التشرد .

وتكلم حينئذ قائلاً للقضاة :

« إنني أدعى چين فرانسوا ايتربك ، عملت لمدة ستة أشهر مع الرجل الذى كان يغنى ويلعب على حبل رفيع مشدود بين مصابيح ميدان « الباستيل » ، وكنت أردد معه المقاطع الأخيرة لكل أغنية كان يلقيها ، ثم كان على بعد ذلك أن أمادى قائلاً : « كل ذلك بعشرة سنتيمات ... إنه أجر ضئيل لسماع تلك الأغاني الحديثة . وكان الرجل دائماً ثملاً ... فتعود أن يضربنى ... ولذلك هربت منه فقبض على الجنود أمس مساء . وكنت قبل ذلك مع الرجل الذى يبيع « المناقض الريشية » . أما أمى ... فغسالة تدعى « إديل » ... كانت تعيش فى وقت ما مع رجل على أرض مونمارتر . ولقد كانت امرأة نشيطة تحبنى . فادخرت مبلغاً من المال كان نتيجة اشتغالها مع عدة زبائن موفورى النعمة . وفى أيام الآحاد ... كانت ترسلنى إلى فراشى فى ساعة مبكرة ... ثم تذهب هى إلى أحد المراقص ... أما فى باقى أيام الأسبوع ... فكانت ترسلنى إلى « مدرسة الفرير » حيث تعلمت القراءة .

وتعود ضابط يدعى « دى فيل » أن يقف عند نافذة منزلنا ليبادل أمى الحديث ، إذ أنه كان يقطن نفس الشارع الذى كنا نقطنه ... كان رجلا ... وشاباً ... حائزاً على وسام من « كريميه » ... فتزوجا . و نعكست الأمور فلم يعبأ بى ... كما أنه قد أثار أمى علىّ ... كانوا كلهم يحقدون علىّ لغير ماذنب اقترفته .. فكنت أخرج من المنزل إلى حى كليش حيث تعلمت الوحدة والبكاء .

وفقد زوج أمى منصبه كما فقدت هى عملها ... فاعتادت أن تخرج باحثة عن عمل لتعول زوجها ، وبذلت فى ذلك مجهوداً كبيراً حتى ماتت فى « الأمبواسير » .

واغرورقت عينا الطفل بالدموع .. ثم تمتم قائلا: « لقد كانت امرأة طيبة » ... ومنذ ذلك الحين وأنا أعيش مع بائع المناقض والمغني السابق الذكر .

وصمت برهة ثم قال :

والآن ... هل ستسجنوننى ؟ ؟

قال كل ذلك بطلاقة رجل مثقف مع أنه كان من أبناء الشارع ... قصير القامة تعلوه رأس يغطيه شعر أسود . لم يقاطعه أحد ... ولم يسأله أحد ... فقط أرسلوه إلى إصلاحية الأحداث .

لم يكن يجيد أى عمل يدوى ... والشىء الوحيد الذى كان يتقنه هو الاستراحة على المقاعد الخشبية . ولكنه فوق ذلك كان مطيعاً وهادئاً هدوءاً طبيعياً . وحين أكمل السابعة عشرة من حياته نبذ مرة أخرى ... وألقى طريداً شريداً فى شوارع باريس . . ولتعاسته وجد كل رفاقه فى الاصلاحية يمتهنون مهناً غير مشرفة ... ملبين بذلك نداء طبيعتهم الدنيئة ... فبعضهم ... كان يمسح الأحذية على أبواب الأوبرا ... والبعض الآخر يتشاغل بتصيد

ما ينفع من الفاذورات ، فلم يكد ينقضي على خروجه من منزل الاصلاح عدة شهور ... حتى قبض عليه مرة أخرى بتهمة سرقة حذاء بال قديم من حانوت إسكاف ... سرقة ما فكر فى الاقدام عليها إلا بعد أن أحس ببرودة الجو تتمشى في عظامه ... وكانت النتيجة قضاء عام فى سجن « سانت بلاجيه » حيث أجبر على أن يترأس طغمة الثائرين الأحداث. وعاش يغمره التعجب بين تلك الفئة من المسجونين.. وجلهم صغار السن يتشابهون فى الملبس ويتكلمون بأصوات عالية ... وكانوا قد اعتادوا الاجتماع فى غرفة أكبرهم سناً ... وقد كان هـذا تمساً يبلغ الثلاثين ... قضى معظمها فى السجون وبالأخص منها سجن « سانت بلاجيه » ... أما غرفته ... فكانت أكبر غرفة فى السجن ... ممتلئة جدرانها بالرسوم الكاريكاتورية ... ومن نافذتها كان بامكان المستطلع أن يرى كل باريس بمبانيها الشاهقة وخوافيها المظلمة ... كما كان باستطاعته أن يرى على البعد خطا من التلال يبدو قريباً جداً من السماء الزرقاء . وفى تلك الغرفة كان المسجونون الأحداث يتناولون طعامهم .

وانقضى عام ... وراح مرة أخرى يجوس خلال باريس مراقباً من البوليس حيث أصبح من هؤلاء المشبوهين الذين يقبض عليهم بمجرد الشبهة فقط .. ففر إلى أورشليم ولكنه استقبل هناك بواجهات الجرائد وهى تتحدث عن الفار « التيريك » و « المسجين التيريك » ... وأخيراً ... « المجرم التيريك »

ومر عامان على خروجه من السجن ... يأكل حيث كان ... ويقضي الليل فى أحد الخنادق الحقيرة إن لم يكن فى العراء . كان يرتدى قبعة رمادية مستقرة فوق مؤخرة رأسه ... وفى قدميه حذاء من القماش يعلوه سروال أبيض قصير . وعنـد ما استطاع أن يتحصل على خمسة وعشرين سنتيما .. جز شعره وراح يحترف الرقص فى « مونبارناس » ولكنه لم يفلح .. فاحترف البطالة ... ولكنه لم يهنأ بحرفته الأخيرة ... إذ قبض عليه مع جمع من رفاقه بتهمة سرقة المخمورين وحكم عليه بالسجن عامين فى « پوليس » حيث تعلم هناك كيف يسلك طريق الاجرام — فلم يكد ينقضى ستة شهور على فراره حتى اعتقل ثانية فى حادث سطو حكم عليه فيه بخمسة أعوام قضى صيفها وشتاءها يعمل تحت أشعة الشمس صيفاً محتملاً ضربات السياط ، وينام تحت برد الشتاء القارس فى العراء ... خمسة أعوام مرت أرسل بعدها إلى « فيرنون » حيث اشتغل قليلا فى أعمال الملاحة . وعند ما صار متشرداً لا يمكن إصلاحه .. استطاع الافلات من أسره ورجع مرة أخرى إلى باريس ، حاملا معه ما ادخره وكان مبلغاً يقرب من ستة وخمسين فرنكا . كان يتخفى نهاراً ، أما ليله فكان يقضيه فى نزل امرأة عجوز ، قدم لها نفسه على اعتبار أنه بحار قديم فقد أوراقه فى مركبه الغريق ... وأوهمها أنه يبحث عن عمل ويرجو أن تتكلل مساعيه بالنجاح فى وقت قريب

وقادته قدماه ذات يوم إلى حى « مونمارتر » حيث ولد ... وفى تلك اللحظة هاجته ذكرى بعيدة .. ذكرى أجبرته على التريث أمام « مدرسة الفرير » حيث تعلم القراءة . وفتح باب المدرسة لحرارة الجو ... فكان من السهل على المار فى تلك الآونة أن يرى فصول المدرسة كما رآها فرنسوا . لم يتغير فيها شيء ، فها هو ذا النور الساطع يتلألأ فى الداخل .. وها هى ذى الأدراج تفصلها الممرات.. ثم ... ها هى ذي الموائد المغطاة بطبقة من الكتب والأقلام ... و ... الخرائط التى طالما أشير عليها

إلى مواطن الحروب . ووجد فرنسوا نفسه دون وعي أو تفكير يقرأ ما قد كتب على السبورة الخشبية السوداء

« ستكون الراحة في السماء .. لهؤلاء الخاطئين المستغفرين ... وسيجدون فيها سعادة أكثر ألف مرة من هؤلاء الذين لا يجدون شيئاً يستغفرون منه »

لقد كانت إذ ذاك ساعة اللعب دون شك ، لأن المدرس كان قد ترك مقعده . . . وجلس على حافة مائدة وقد التف حوله جمع من الصبية يستمعون في شغف إلى قصة كان يرويها لهم . أي مظهر طاهر بريء كان يشع من ذلك الوجه الشاب الملتحى وهو في عباءته الطويلة السوداء وربطة عنقه البيضاء التي تتناقض تماماً مع حذائه الكبير وشعره المشعث . وانتهى القس المدرس من قصته فأعقبها بضحكة هانئة . . . أعقبتها ضحكات تعالت من هؤلاء الذين كانوا ينصتون إليه

أي حياة سعيدة كان يحياها هؤلاء المجدودون !

وهاجت فرنسوا في وقفته المتأملة ... ذكرى الكلمات التي لم يمض على قراءته لها بضع دقائق فتمتم قائلا لنفسه بحزن « لو أنني لم آت متأخراً في النهاية ؟ ولو كان في الامكان أن أرجع ثانية كالآخرين فآكل خبزي الجاف بشهية وأملأ أجفاني بنوم لا تشوبه الأحلام ! وهز رأسه بيأس ولكنه سرعان ما أردف قائلا وفي عينيه بريق خاطف :

« إنه لجاسوس ماهر ذلك الذي يستطيع أن يستدل عليّ الآن ... فلحيتي التي أزلتها هناك . . . نبتت هنا أشد قوة وغزارة .. إن الانسان ليستطيع أن يختفي في مكان ما على الجبل . . . أما من جهة العمل . . . فمن السهل الحصول عليه، إذ أن الأبنية تتعالى بسرعة هائلة . . . ومن الطبيعي أن البنائين يحتاجون لمساعدين يتقاضون أجراً قدره ثلاثة فرنكات يومياً . . . ثلاثة فرنكات . . . إنه أجر لم أحلم به يوماً من أيام حياتي . . . سأنسى ... نعم لابد أن أنسى .. والنسيان هو ما أنا في حاجة إليه »

وكان أميناً في تنفيذ فكرته التي اعتزمها ... فلم تكد تنقضي ثلاثة أشهر حتى أصبح رجلا غير الرجل ، فلقبه رئيس العمل الذي كان يعمل عنده برجله المفضل . وبعد أيام انقضت تحت أشعة الشمس القائظة وسط الأوحال ، يميل تارة ويستقيم أخرى ليتناول آلات البناء من الرجل الواقف تحته فيوصلها إلى ذلك الذي استقر على قطعة من الخشب ذهب ليتناول غداءه في حانوت قريب ... منهوك القوى تؤلمه قدماه ... بينما كادت يداه تتقدان وعيناه تسحان الدموع من تأثير حبيبات الرمال التي كانت تداعب أجفانه . ولكنه على رغم ذلك كان راضياً عن نفسه ، ممسكا بما كسبه من نقود في منديل استقر في يده . كان يخرج الآن دون خوف ، فقد كان قناع الجير الأبيض الطبيعي خير مخف له عن عيون الرقباء حتى أنه حين مر برجل البوليس نظر إليه هذا الأخير نظرة كلها عطف ورثاء ، فنسي آلامه كلية ، فلقد كان حراً طليقاً

وأخيراً ... أوه ... يالله ... لقد وجد صديقاً

كان عاملا مثله يدعى « سافنيان » فلاحاً أتى إلى باريس بحصا في مؤخرتها « صرة » يكاد كتفه ينوء تحت ثقلها . أحبه جين فرنسوا لسذاجته وطيبته وأمانته ... أحبه لكل تلك الأشياء التي افتقدها هو في زمن مضى . وكان سافنيان بطبيعته ضعيفاً . يترك الأمور لتأخذ مجراها الطبيعي فعمل جين على مساعدته مساعدة جدية ، وعاشا سوياً في منزل صغير مريح وأشركا معهما لحاجتهما دخيلا

عجوزاً شحيحاً ... يسعى لادخار بعض المال حتى يمكنه أن يشترى قطعة من الأرض فى وطنه . وكان جين فرنسوا وسافنيان دائماً متحدين ، ففى أيام العطلة كانا يتمشيان فى ضواحى باريس . ويتناولان غداءهما تحت شجرة فى أحد فنادق الضاحية التى يكونان قد استقرا بها . وتعلم فرنسوا من صديقه كل الأشياء التى يجهلها عن القرية .. فعرف أسماء الأشجار والزهور والنباتات ، وأصغى كثيراً لآلاف من الكلمات تصف حياة القرية ، كان منها « أغاريد الربيع ، وقصف الشتاء ، وصوت الطواحين على حافة المياه ...» وأخيراً ... اكتشف جين فرنسوا فى روحه ناحية حالكة كان يجهلها

لم يكن يزعجه إلا رغبة سافنيان الشديدة فى معرفة شىء عن ماضيه ، ففى بعض الأحيان كانت تمرق من بين شفتيه بعض كلمات عن اللصوص والطريدين ، فكان يحس فى نفسه بآلام تشبه تلك التى تنتج عن جرح تفتح بعد أن كاد يندمل ، وخصوصاً بعد ما سأله عن أسرار المدينة المرحة الخفية الغامضة عليه . كان يتهرب من الاجابة إذ رأى فيها خطراً على صديقه الذى كانت أنوار الحانة تؤثر فيه تأثيراً كبيراً فتجذبه إليها باطراد عجز عن صده . وعند ما أقبل الربيع ، ابتدأ سافنيان يتوجه منفرداً إلى المراقص بعد أن كان يهاب الدخول فيها . تجرأ ذات يوم وولج باب إحدى الحانات الخارجى . ومن ذلك الحين ابتدأ فرانسوا يلمس التغير الذى طرأ على صديقه . فقد تبدلت عاداته وتصرفاته ، وأصبح بليداً خاملا ، شريراً ... لا يدفع ما عليه من ديون . فكان يتألم دون أن يتكلم إذ لم يجد فائدة من نصائح سبق تكرارها له وحدث ذات مساء بينما كان صاعداً إلى غرفته ساهماً يفكر أن تعالى إلى سمعه قبل أن يدخل صوت غاضب ميز فيه صوت الرجل العجوز الذى يشاركهما مسكنهما وصوت صاحب الدار وألحت عليه رغبة قوية ليتسمع حديثهما

وتكلم العجوز قائلا بغضب :

« نعم ... إننى واثق من أن أحداً قد اغتصب حقيبتى ونشل منها ثلاثة جنيهات كنت أخفيها فى صندوق صغير ، كما أننى متأكد من أن ذلك السارق لا يمكن إلا أن يكون أحد رفيقى اللذين أنام معهما . هذا إن لم تكن السارقة هى الخادمة ماريا ، والمسألة تختص بك تماماً كما تختص بى ... أفلست أنت صاحب المنزل ؟ وأقسم أننى سأسوقك إلى المحكمة فوراً إن لم تدعنى أنقب عن ذهبى فى حقيبتيهما حالا آه يا ذهبى الضائع .. لقد كان هنا بالأمس وسأخبرك كيف كانوا حتى إذا عثرنا عليهم مستقبلا فلا يكون لأى إنسان أى شك فى صدق قولى . نعم ... إننى أعرف قطعى الذهبية الثلاث ، وأنا أراها أمام عينى الآن تماماً كما أراك . كانت الأولى جديدة تحمل صورة الامبراطور والثانية قديمة جداً . أما الثالثة فكان عليها أثر أسنان كانت تختبر نقاوتها . إنهم سوف لا يضحكون على ... هل تعلم أننى فى حاجة إلى قطعتين أخريين لأكمل باقى ثمن الأرض . هيا وتعال لتبحث معى فى تلك الأشياء وإلا فسأنادى البوليس ... هيا . وتكلم صاحب المنزل قائلا :

— حسن ... سأذهب للبحث عنهما مع ماريا ولكننى ... وبعد أن أجبرتنى أنت على ذلك ... سألقى المسئولية على عاتقك إن غضب البناءان »

كانت حياة جين فرنسوا مملوءة بالتاعب والمفاجآت . . . نعم إنه تذكر جولات سافنيان الليليه . . ولكنه لم يكن ليصدق أنه كان لصا . وتعالى

إلى أذنيه صوت العجوز فى نبراته الغاضبة ... فخيل إليه أنه يستمع لدقات قلبه «هاهى ذى .. هاهى ذى .. قطن المحبوبة .. انظر أيها العجوز ياصاحب المنزل .. إنها تماماً كما أخبرتك ... ويل للسارق ... إننى فى انتظاره وسيكون السجن بانتظاره هو الآخر »

وفى تلك اللحظة سمع جين فرانسوا وقع خطوات سافنيان وهى تنتقل ببطء على درجات السلم متجهة إلى أعلى .. يالله .. إنه ذاهب للافاة حتفه .. يجب أن ينقذه

ثم فتح باب الغرفة ودخلها وعلى وجهه سيماء تعب شديد ... فرأى صاحب المنزل والخادمة قابعين فى ركن من الغرفة ... بينما كان العجوز راكعا على ركبتيه يقبل جنبهاته الذهبية ... وهتف قائلا بصوت جهورى :

— ماذا تفعل ؟ . . إننى أخذت النقود من حقيبتك وخبأتها فى حقيبة زميلى ... نعم إننى لص ولكننى لست بنذل — هيا واطلب البوليس فلن أحاول الهروب . . . ولكننى أود أن أقول كلمة لسافنيان على انفراد ... ها هو ذا قد جاء

بوغت سافنيان حين اكتشفت جريمته فذهل ووقف بعيدا مضموم الذراعين . وأسرع فرانسوا ناحيته وجذبه إليه بقوة كما يريد أن يعانقه ثم همس فى أذنه «لاتتكلم» ثم التفت ناحية الآخرين وتمتم قائلاً:

« اتركونى وحيدا معه ... ولقد أخبرتكم أننى لن أحاول الهروب . . . لكم أن تسجنونا ها هنا ... ولكن ... بعد أن تدعونا على انفراد »

وخرج الجميع فتهالك سافنيان على الفراش دون أن يفهم شيئا مما جرى . واقترب منه فرنسوا وأمسك بيديه قائلا :

انتبه إلى ... إننى متأكد من أنك سرقت تلك القطع الذهبية لشراء هدية لاحدى فتياتك ... وإن هذا ليكلفك ستة أشهر فى السجن ... لاتلبث بعدها أن ترجع إليه ثانية. ستكون طريد البوليس والقضاء. إننى أعلم ذلك تماما فلقد مكثت سبعة أعوام فى مدرسة الاصلاح ... وستة مثلها فى سانت بلاجيه ثم ثلاثة أخرى فى بيوس وأخيرا .. خمسة فى تولون . والآن .. لا تخف فلقد رتبت كل شئ وأخذتها على عاتقى

وتمتم سافنيان بصوت فيه رنة الأمل « ... إن ذلك لمروع جدا» ولكن جين فرنسوا استمر قائلا:

عند ما يتوجه الأخ الأكبر للحرب فلا يحاول الأصغر الذهاب ... إننى بدلا منك وهذا كل شئ إنك تهتم بى قليلا ... أليس كذلك ياسافنيان ؟ ؟ إذا فكن رجلا ولا ترفض . إنهم كانوا سيأخذوننى فى تلك الأيام مرة أخرى لأننى هارب من المنفى ، إننى أفعل ذلك ولا أطلب منك شيئاً . . فقط ... أن تعدنى بأن لا تعود . . . لذلك مرة أخرى . لقد أحببتك ياسافنيان ولقد بعثت صداقتك السعادة إلى قلبى بعد أن تفقدتها عبثا قبل أن ألقاك . ولقد كنت حينئذ صادقا وأمينا كما كنت أود أن أكون دائماً . قد كان يكون ذلك لو أنه قد كان لى أب مثلك وأم لتعلمنى الصلاة . والشئ الوحيد الذى آسف له فى حياتى هو أننى لم أكن مفيدا لك . وأخيرا... لاتبك ياصديقى وهيا لتعانقنى إذ أننى أسمع وقع أقدام ثقيلة على الدرج . . . إنهم هم مع الجنود وليس من المستحسن أن يعرفوا مبلغ صداقتنا

وجذب فرنسوا سافنيان إلى صدره . وسرعان مادفعه إلى الأمام فى نفس اللحظة التى فتح فيها الباب. كانوا جميعهم : صاحب المنزل والرجل العجوز الذى أحضر رجال البوليس

وتقدم جين فرنسوا ليترك مادا يديه للقيد وهو يتمتم ضاحكا : « أوه . إنه الحظ السيئ أخيرا »

وهو الآن فى قابين ... يقضى بقية أيام حياته كمجرم لا يمكن إصلاحه .

عادل الجمال

حاجي بابا الإصفهاني

للكاتب الانجليزي "جيمس موير"
بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

الفصل السابع والعشرون

الشاه في ضيافة الطبيب

انتهت نتيجة التفكير إلى العزم الصادق على الخروج من خدمة الطبيب والرحيل عن طهران . لكن حبي لزينب تغلب على هذا العزم فآثرت البقاء في خدمته وقلت إنه ليس بعلم ولا يظن أني أنافسه في حبه ولا أنني أنا السبب في الاضطراب الذي حدث اليوم في منزله والاهانة التي ألحقتها به زوجته ولكنه كان يعلم على كل حال أن رجلاً دخل منزله في غيبته ولم يكن قبل مجيء زوجته يعلق أهمية على ذلك بل كان على ما يظهر مسروراً لمعرفته هذه الحقيقة لأنها تسهل عليه طريق الحب مع زينب

لكن رأيه قد تغير بلا شك بعد مجيء زوجته، وحدوث ما حدث وسيكون أشد رقابة على منزله وستكون علاقتي بزينب أشد خطراً لسهره من جهة وسهر زوجته من جهة أخرى على حراسة الفتاة مدفوعين بأشد دوافع الغيرة

ظللت بعد عودتي أنظر كل يوم من النافذة لعلي أرى زينب فلم أرها وخطر ببالي أنه لابد أن يكون قد حدث أمر من اثنين فاما أن تكون مسجونة وإما أن تكون سائر الجواري قد انتهزن هذه الفرصة فشفين ما في نفوسهن من غل بقتلها . ونفد صبري فلم يبق منه شيء .

وفي يوم من الأيام رأيت « نورجيهان » الجارية الحبشية تخرج من المنزل لتشتري شيئاً من السوق فتبعتها وقد دعتني معرفتي بالصداقة التي بينها وبين زينب إلى الوثوق بها فدنوت منها وقلت : « سعدت يا جيهان ! لماذا تسيرين وحدك بهذه السرعة في هذا الوقت ؟ »

فقالت : « أنا ذاهبة لأشتري دواء للجارية الكردية »

قلت : « ماذا ! وهل زينب مريضة ؟ »

قالت : « مسكينة زينب ! إنها مريضة حزينة وأنتم أيها الفرس في نهاية القسوة . إننا سود أرقاء ولكن في قلوبنا رحمة »

قلت : « ما الذي فعلوه بزينب حتى استنكرت من أجلهم أعمال الفرس ؟ » فأخبرتني بأن سيدتها سجنت زينب بسبب غيرتها منها في حجرة ضيقة وحرم عليها الانتقال منها وعوملت معاملة قاسية فمرضت بالحمى واشتد بها المرض حتى أشرفت على الموت، ولكن قوتها وشبابها تغلبا على المرض فأبلت منه، لكن السيدة ساءها ذلك فصارت تأمر بشراء العقاقير الضارة بالصحة وتكرهها على تعاطيها حتى لا تتحسن صحتها فيبدو جمالها. ثم وعد الشاه رئيس أطبائه بأن يزور منزله تشريفاً لقدره واعترافاً بخدماته فأرادت السيدة أن تظهر جواريها أمامه بمظهر يسره وأمرت بأن تعالج زينب حتى تعود إلى ما كانت عليه من الصحة والجمال لكي تكون في خدمة الشاه بهذه الزيارة .

وقد تبين لى بعد هذا اليوم صدق ما أخبرتنى به نورجيهان وعلمت أن الشاه لن يجعل هذه الزيارة عادية بل سيزيد من تشريف طبيبه بأن يتناول الشاه عنده ، وكان الطبيب خائفاً مضطرباً وكان يعد هذه الزيارة نذير سوء على ماليته لأنه لن يخرج منها إلا مفلساً

وكان أول واجب عليه أن يفرش الطريق بين قصر الشاه وبين منزله بالسجاجيد ويغطيها بالأزهار والرياحين وفقاً لتقاليد هذه البلاد

وكان فى حيرة شديدة لأنه إن أظهر غناه تعرض فى المستقبل للمطامع ، وإن لم يظهره تعرض لاحتقار منافسيه . وبقى مدة طويلة لا يفكر فى استشارتى ولكنه عاد فتذكر ما أبديته من الذكاء حين أرسلنى فى مهمته مع الطبيب الأجنبى فأرسل إلىّ وقال: «أشر على يا حاجى بابا بما ينبغى أن أفعل فى هذه المشكلة الصعبة . إن جلالة الشاه سيزورنى وسيزور وزير ماليته فى يوم واحد . ووزير المالية كما تعلم أغنى رجل فى البلاد ويستحيل على أن أنافسه ، وقد علمت أنه سيجعل الأبسطة التى يفرشها فى الطريق موشاة بالذهب ، وسيجعل على جانبى الطريق شيلاناً من الكشمير ليمشى عليها جنود الشاه ، وأنت تعلم أن وزير المالية لم يعلن هذا العزم منذ الآن إلا لأنه يتجر فى الشيلان والأبسطة ويريد أن أشترى منه بعضها ولو فعلت ذلك لما بقى عندى من المال بقية »

قلت : « إنك لست من الغنى فى منزلة الوزير ولكنك رئيس الأطباء ومرتبتك بين رجال القصر كمرتبة الوزراء ، وفضلا عن ذلك فان زوجتك من نساء البلاط فيجب عليك من أجلها أن تبذل كل ما فى وسعك ولو كان فيه إرهاق لماليتك . ولا شك فى أن الشاه سيغضب إذا لم تستقبله الاستقبال اللائق به فكن عند الثقة التى وضعها فيك »

قال الطبيب : « إن الذى تقوله ياحاجى بابا صدق كله ولكننى بالرغم من ذلك فقير . وإذا راعيت الاعتبارات التى ذكرتها فواجب على أيضاً أن أراعى اعتباراتى المالية ، أفلا يصح الاكتفاء بفرش الطريق بالأزهار وأن أذبح ثوراً أو ثورين وأكسر قنانى الشراب تحت أقدام جواده ؟ ألا يكفى ذلك؟ أجبنى ! »

قلت : « هذا مستحيل . وإذا فعلت ذلك فإنك تعرض نفسك لأشد الهوان ، وتمكن أعداءك من أن يحملوا الشاه على تجريدك من كل ما تملك حتى تصبح معدماً مثلى . ولا ضرورة إلى أن تفعل كما يفعل وزير المالية فافرش الأرض بالقطيفة ، والحديقة بالسجاجيد ، وغرف المنزل بالكشمير ؛ ولن تكون تكاليف ذلك باهظة »

فقال الطبيب : « إننى أقدر لك هذه النصيحة وقد أتبعها ، وعندى شيلان زوجتى وهى كافية لفرش الغرفة التى سيجلس فيها جلالته وسجاجيد المنزل تكفى لفرش الحديقة وسأشترى من القطيفة ما يكفى لفرش الطريق »

قلت : « ولكن تذكر أن جلالة الشاه سيدخل غرف الحرم فى منزلك فيجب أن تكون مفروشة كلها بالشيلان ، ويجب أن تظهر جواريك كلهن أمام جلالته لابسات أفخر الثياب

فقال الطبيب : « إذا كان الأمر كذلك فعليهن أن يقترضن الثياب والمصوغات من جاراتهن »

لم أجبه على هذا القول لاعتقادى أن زوجته لن توافق عليه وأنها ستكفينى مؤونة الرد عليه وهى قادرة على إكراهه على ما تريد

وعند ما تمت هذه الزيارة كان كل من فى المنزل

فى ثياب لائقة وقد تكلف الطبيب من النفقات أضعاف ما كان يقدره

الفصل الثامن والعشرون

هدية الشاه

فى صباح اليوم الذي حدث فيه هذا الحادث العظيم وهو اليوم الذى قرر المنجمون أنه مبارك يصلح لانتقال جلالة الشاه لأداء الزيارة — فى صباح ذلك اليوم جلس الشاه على عرش وضع له فى حديقة منزل الطبيب وقد أقيمت فوقه مظلة من الأزهار ودارت النوافير فى وسط الأحواض المصنوعة من المرمر والتى حليت فى ذلك اليوم بأزهار البرتقال وثماره

وذبح الطبيب من الأغنام والماشية عدداً وافراً جداً يكفى لإطعام نصف المدينة وصنع الطهاة مئات من أصناف الحلوى والفواكه المجففة والمثلجة

وكان ممن حضروا مع الشاه هذه الوليمة كل وزرائه وكبار الموظفين فى القصر والعلماء وفرقته الموسيقية

وكان الطريق من القصر إلى منزل الطبيب مفروشاً بالسجاجيد الفارسية والأزهار وقد بدأ الموكب بذهاب ميرزا أحمد إلى القصر ليعلن استعداده لهذه الزيارة ؛ وعلى أثر ذلك تقدم بعض الجنود من الفرقة الموسيقية ليخلوا الطريق وليعلنوا بالنفخ فى أبواقهم أن الموكب الملكى سيمر ، وتقدم الموكب عدد كبير من الضباط بثيابهم الرسمية المحلاة بالذهب ووراءهم رجل يحمل نرجيلة الشاه المذهبة وآخر يحمل علبة التبغ وآخرون يحملون أشياء مماثلة

وبعدهم الوزراء والعلماء ورجال البلاط سائرين على أقدامهم وفى وسطهم الشاه راكباً جواده ووراءه فرقة من الجيش

وكان عسكر خان شاعر الشاه بين موظفى القصر الذين رافقوا جلالته فى هذه الزيارة

وكان الطبيب احمد خان الذى شرفه الملك كل هذا الشرف يمشى حافياً فى الموكب إعلاناً لشكره وخضوعه

ولما وصل الموكب إلى البيت وقف الطبيب عند بابه يستقبل الشاه، فلما نزل عن جواده قال الطبيب: « إن أحقر فرد من رعاياك يا جلالة الشاه يبدي خضوعه لملك الملوك ظل الله على الأرض ويتوسل إليك أن تتم النعم التى أسديتها إليه بأن تشرفه بدخول منزله »

فأجابه الشاه : « الحمد لله الذى وهبنا خدماً مخلصين مثلك يا ميرزا أحمد . لقد بيضت وجهك أمامى وعلت منزلتك عندي فاحمد الله على أن ملكك زار منزلك وقبل ضيافتك »

عند ذلك سجد الطبيب وقبل الأرض بين قدمى الشاه وصاح الوزراء : « نقسم برأس الشاه أن ميرزا أحمد عبد مخلص لجلالة مولاه وأنه لفهان عصره فى الطب والحكمة »

قال الطبيب : « كرم من أخلاقكم أن دعوتمونى لفهان عصرى ولست مثل لقمان وإنما رفعنى عن مرتبته تشرفي بالوجود فى ظل الشاه ملك الملوك . من ذا الذى يستطيع منافسة الفرس وهم تحت حكمه؟ وأى طبيب أجنبي ينافس طبيب جلالته فى حكمته وعلمه ؟ »

دخل الشاه وهو يقول : « صدقت، فان فارس قد اشتهرت منذ بدء تاريخها إلى الآن بذكاء أهلها

وجلالة ملوكها، وليس فى العالم ملوك بلغوا من العظمة ما بلغه ملوك فارس من عهد قمبيز إلى عهدى . نعم إن فى الهند حكاماً، وفى بلاد العرب خلفاء، وفى بلاد الترك سلاطين ، وفى الصين قياصرة ، ولكنهم ليسوا مثلنا . أما بلاد الفرنجة فاننا عرفنا بعض أهلها فى العهد الأخير ، ويقولون إن فيها ملوكا عظماء لم نسمع بأسمائهم »

قال أحد الوزراء : « فى بلاد الفرنجة يا جلالة الشاه أمم كثيرة إذا استثنينا منها انكلترا وفرنسا فان سائرها لا يعدل شيئاً فى الوجود . أما المسكوفيون فانهم ليسوا أوربيين بل هم أقل من أن يكونوا عبيداً لأوربا »

ضحك الشاه ضحكة عالية وقال : « صدقت، فهم أناس تحكمهم امرأة يقال لها كاترينا وهى امرأة عجيبة تأتمن على سياسة بلادها وزيراً مجنوناً يدعى بولص ، وقد بلغ من جنونه أنه أرسل جيشاً ليغزو الهند كأن فارس أذنته بذلك . والروس يحلقون ذقونهم ويلبسون ثياباً ضيقة ويدعون أنفسهم من أجل ذلك أوربيين كما يربط المرء فى ذراعيه جناحى أوزة ويدعى أنه ملك كريم »

قال الوزير : « تبارك الله ! من فى ملوك الغرب يتكلم بالحكمة التى يتكلم بها جلالة الشاه ؟ »

فقال وزير آخر : « أسأل الله أن يديم عهده ألف عام »

وقال وزير ثالث : « أسأل الله أن يديم له الصحة والعافية » واستمر الشاه يقول : « إننا نسمع أخباراً عجيبة عن نسائهم فليس فى بيوتهم مكان خاص بالسيدات بل هن يعشن مع الرجال كأنهن بعضهم ولا يضع النساء نقاباً على وجوههن بل يعرضن هذه الوجوه لكل من أراد كنساء قبائلنا المتنقلة. قل لى يا ميرزا أحمد، فأنت طبيب وفيلسوف كيف اختصت العناية الالهية المسلمين دون غيرهم بالنساء الخاضعات المطيعات » ثم ابتسم ابتسامة الساخر وقال : « لقد سمعت أن زوجتك من أوفى النساء وأكثرهن خضوعا » .

فقال الطبيب : « لقد شملنى عطف ملك الملوك فتوافرت لدى كل أسباب السعادة والراحة ، وأنا وزوجتى وكل ما نملك من أرقاء الشاه . وكل ما أوتيت من نعمة فهى من إحسانك الذى أحال نقائصى إلى فضائل . أما سؤالك عن اختلاط نساء الأوربيين برجالهم فأقول والله أعلم إن الأوربيين لا يفضلون البهائم والوحوش فى شىء ، فهم لذلك لا يعرفون الحجاب كما أن إناث البهائم تختلط بذكورها . والبهائم والوحوش لا تتوضأ ولا تصلى ولا تدرك النجاسة فى لحم الخنزير؛ وكذلك الأوربيون. وقد علمت أن فى كل بيت بأوربا حجرة خاصة تربى فيها الخنازير، ولابد أن تكون علاقة الزوجية علاقة ضعيفة جداً فى تلك البلاد لأن كل امرأة فيها تقابل أى رجل »

قال الشاه : « أحسنت يا ميرزا أحمد. ومن الواضح أن كل الناس وحوش أو بهائم ماعدانا نحن . ولكننا سمعنا يا ميرزا أحمد أنك جعلت منزلك هذا كالجنة فملأته بالحور ، فهل هذا صحيح ؟ »

فسجد ميرزا أحمد وقال : « لك يا مولاى عبدك وما ملكت يداه، وإن أسعد ساعة فى حياتى هى التى يشرفنى فيها جلالة الشاه بدخول منزل الحرم » .

قال الشاه : «سنرى بأعيننا ما سألنا عنه؛ وإن نظرة من الملك لتجلب الحظ . ثم فأخبر سيدات الحرم أن الشاه داخل لزيارتهن . وإذا كان فيهن مريضة، أو من بنفسها رغبة لم تستطع إبداءها إلى الآن، أو جارية تحب إنساناً بعينه وتريد أن تتزوج منه، أو زوجة تريد أن تتخلص من زوجها فلتقل ذلك للشاه » .

كان عسكر خان شاعر الملك ساكتاً إلى هذه اللحظة، ويظهر أنه كان شارد الذهن فى نظم أبيات؛ فلما نطق الشاه بما نطق به وقف الشاعر وأنشد أبياتاً امتدح فيها الشاه وقال إن نظرة منه تنال من المرض مالا ينال منه الدواء وهنأ فيها الطبيب بزيارة الشاه له وتكريمه إياه »

وكان كل الموجودين ينصتون إليه حتى انتهى منها فهنأه الشاه بجودة شعره وفضله على الفردوسى ثم أمر كل الموجودين أن يقبلوا فمه . ثم ابتعدت الحاشية وجرى الاستعداد للوليمة .

الفصل التاسع والعشرون

الوليمة

لم يكن فى الغرفة التى تغدى فيها الشاه غير الخدم إلا أبناء الشاه الثلاثة . وقد كانوا واقفين فى طرف تلك الغرفة وظهورهم للحائط والسيوف معلقة على جنوبهم ، وكان ميرزا أحمد واقفاً بباب تلك الغرفة مستعداً لتلبية الأوامر . وكان القماش الذى غطيت به المنضدة موشى بالذهب كما كان الطست والابريق المدان لغسل يدى جلالته مصنوعين من الذهب. وجىء بالطعام فى أطباق مختومة بالشمع الأحمر بخاتم أمين الملك الذى فحصها فى المطبخ فوجدها خالية من السم . ولا يفض هذا الختام إلا أمام الشاه نفسه على المائدة .

وكان الطعام أنواعاً من الحساء، فنوع من لحم الضأن وآخر من الطير وآخر من السمك ، وبلى ذلك طعام خاص مصنوع من الاوز والبرتقال والسكر، ثم أنواع متعددة من السمك فى أوان بعضها ذهبى والبعض فضى والبعض من أغلى أنواع الخزف المصنوع فى الصين ، ثم أنواع من اللحم بعضها مصنوع بالزبد والبيض وأصناف من الخضروات والبقول ، وجىء بالحلوى والأشربة المصنوعة من عصير الفواكه

ولما فرغ الشاه من طعامه انتقل إلى الغرفة المجاورة ليشرب القهوة ويدخن . وأذن لأبنائه الأمراء وللوزراء أن يتغدوا من فضلات طعامه . وفى أثناء تناول جلالته للغداء أمر بأن ينقل طبق من أطباق الطعام التى كانت أمامه إلى ميرزا أحمد الواقف بالباب وأذنه بأن يتغدى به فعد ذلك أكبر تشريف منه . ودفع للخادم الذى نقل إليه الطبق مبلغاً كبيراً من المال . وكذلك أكرم الشاه زوجة مضيفه بنقل بعض الأطباق إليها

وبعد أن تغدى الوزراء نقل الطعام إلى من هم دونهم فى المرتبة ، وفى هذه الأثناء زار الشاه مسكن الحرم مع مضيفه الطبيب . وقد كنت شديد الخوف والجزع فى أثناء هذه الزيارة . وزاد خوفى حتى أدركنى اليأس حين علمت بعد ذلك أن الطبيب أهدى إلى الشاه جاريته الكردية زينب

امتقع لونى عند ما سمعت هذا الخبر وعزمت على

مقابلها قبل الذهاب إلى القصر الملكي مهما كلفني ذلك، وكان في مسكن الحرم كوة تطل على الطريق فقلت في نفسي إن زينب ستطل منها بلا ريب ساعة ذهاب الشاه . وكانت هذه الساعة قد دنت فذهبت ووقفت أمام تلك الكوة

وقد صدق ظني فانه ما كاد يتحرك الموكب حتى رفعت بصري إلى تلك الكوة فرأيت زينب تطل منها وقد نظرت إلي، وكان هذا كل ما أرجوه، وتركت لها تدبير الحيلة للقائي

وكان موكب الملك وهو يعود إلى قصره كموكبه وهو آت منه . وكان حديث النساء في هذه الأثناء مناقشات حادة عمن نظر إليها الشاه أكثر مما نظر إلى غيرها ، وعمن نالت إعجابه . وكن جميعاً يظهرن بمظهر الحسد لزينب . وقالت إحداهن : « لست أعرف ما الذي أعجب الشاه منها فهي ليست جميلة! »

فقالت الأخرى : « إن خصرها كخصر الفيل »

وقالت ثالثة : « وقدمها كخف الجمل »

وقالت رابعة : « وهي يزيدية من بنات الشيطان »

هذا ما سمعت النساء يتحدثن به ثم لم أعد أسمع شيئاً . ولما اشتد سواد الليل ذهبت إلى النافذة التي في غرفة زينب آملاً أن أراها

الفصل الثلاثون

ما جى بابا يفقد هيبته

شكوت إلى زينب سوء الحالة النفسية التي وصلت إليها ، فنبهتني إلى الخطر الذي ينطوي عليه هذا الحديث . وقالت : إن هذه آخر مقابلة لنا وإنها منذ الآن أصبحت من نساء القصر الملكي ، وإن نصيبها ونصيبي لن يكونا غير الموت إذا وجدنا بهذه الحالة . وكنت شديد الشغف بأن أعرف كيف وقع اختيار الشاه عليها وما هو رأيها الآن في مستقبلها ، ولكن الدموع حالت بيني وبين كل الذي أردت أن أنطق به . ورأيت الفتاة لا تنظر إلى فراقنا بالعين التي أنظر بها إليه فقد شغلها الفرح بحسن مستقبلها حتى عما في هذا المستقبل من الأخطار . فلم أشأ أمام ما رأيته من فتورها أن أظهر لها حرارة حبي

وأخبرتني أنه لما دخل الشاه مسكن الحريم استقبله المغنيات بانشاد قصيدة قالها شاعره في مدحه. ولما جلس في البهو دخلت السيدة فقبلت الأرض بين يديه فأهدى إليها جلالته عقداً من اللؤلؤ. ثم دخلنا فوقفنا صفاً أمام جلالته

قالت زينب : « كنت آخر من في الصف . ونظر جلالته إلينا ، فقابله بعضنا بنظرة جريئة ، والبعض بنظرة خجل واضطراب ، وحملقت إحدانا في وجه الشاه فلم تغض من عينيها . وكان ينقل بصره على عجل من واحدة إلى واحدة حتى إذا نظر إلى أطال نظراته وأخذ يتأمل . وقال للطبيب : « ما هذه الجميلة التي يحتويها منزلك يا ميرزا أحمد ؟ وحق تاج الشاه إنها من أجمل من رأيت . أنت حسن الذوق يا طبيبي فوجه فتاتك كالقمر وجيدها كجيد الغزال، ما شاء الله ! ما شاء الله! »

فأحنى الطبيب رأسه وقال : « جعل الله نفسي فداك يا ملك الملوك . إن الجارية لا تستحق هذا الالتفات ولكنها وصاحبها لك ، فهل تشرفني بأن أضعها تحت أقدام عرشك ؟ »

قال الشاه : « مقبول » ثم أمر رئيس الخصيان أن يجعلني بالقصر الملكي في فرقة المغنيات »

قالت زينب : « ويستحيل أن أنسى يا حاجي بابا

تلك النظرات التي كانت تنظرها إليّ السيدة ، فقد عبرت بها عن أقصى عواطف الغيظ والغضب والحسد، أما الشركسية فقد كنت أحس أن نظراتها إلى تطعنني في صدري أشد من طعنات الخناجر . أما ورجيهان صديقتي الوفية فقد بدا على وجهها السرور والارتياح لما أتيح لي من حسن المستقبل . وسجدت أمام الشاه ، فنظر إلى نظرة عطف وحنو

وبعد أن خرج جلالته من المنزل لم يعد من فيه يطلقن عليّ لقب بنت الشيطان؛ بل صرن يقلن لي : « يا حبيبتي » و « يا روحي » و « يا نور عيني »

وصارت السيدة تقدم إلى التبغ بنفسها وتدعوني إلى التدخين في نرجيلتها، وصارت تضع بيدها الحلوى في فمي . أما الجارية الشركسية فانها لم تعد تطيق أن تراني ، وكانت تهرب كلما وقع نظرها على وعلى السيدة وهي تلاطفني هذه الملاطفة . أما سائر من في المنزل من الرقيقات فصرن يعلمنني بماذا أخاطب الشاه وبماذا أجيبه إن ناداني وكيف أسلك في القصر مع زوجاته وسائر جواريه . ومجمل القول يا حاجي بابا أن زينب المسكينة المهملة وجدت نفسها موضع الاحترام والاجلال والاعجاب »

كانت زينب تقول ذلك بلهجة طبيعية تدل على امتلاء قلبها بالسرور ، فلم أشأ تعكير صفوها بأن أنبهها إلى ما في هذا المستقبل الذي تبتهج به من المخاوف والأخطار فان غلطة بسيطة تقع منها أمام الشاه لا تعاقب عليها عقاباً أهون من الموت . وتظاهرت بأنني أشاركها السرور لما ينتظرها من السعادة . وقلت لها إنه بالرغم من اضطرارنا إلى التفرق فاني لا أزال آمل أن تجمعنا الأيام فيما بعد . ومن يدري كيف تجري الظروف وتتغير الأحوال

وأخبرتني بأن خصياً من قصر الشاه سيأتي في صباح اليوم التالي ليأخذها إلى الحمام وأنها بعد أن تلبس ثياباً جديدة ستنتقل إلى القصر لتتعلم الرقص والغناء مع سائر مغنياته وراقصاته

وهنا نوديت زينب فودعتني وتفرقنا وكلانا قليل الأمل في اللقاء .

الفصل الحادي والثلاثون

حاجي بابا يتعلم الطب

بعد أن ذهبت زينب بقيت في مكاني وأطلقت للفكر عنانه وقلت : « أهكذا الدنيا ؟ لقد كنت في الشهرين الماضيين كأنني في حلم . كنت أظنها ونفسي كليلي ومجنونها ، وكنت أحسب قلبها يتحرق حباً كما يتحرق قلبي فاذا أنا مخدوع مضلل وإذا كلمتان قالهما الشاه تذهبان بحبي إلى الأبد وتضمان حاجي بابا واسمه في عالم النسيان وتجعلان زينب ملكية كسائر الملكيات .

مضت عليّ هذه الليلة وأنا محموم وقمت في الصباح مهموماً مغموماً فعزمت على أن أتنزه خارج المدينة لأسلي نفسي . وفي أثناء الطريق وجدت زينب راكبة جواداً ومن حولها الخصيان . وقد كنت أنتظر أن ترمقني بنظرة ولكن خاب ظني فانها لم تعبأ بي فسرت وأنا مصمم على أن أطرد اسمها من خاطري . ولكنني على غير إرادة مني غيرت اتجاهي فبدلاً من أن أسير إلى باب المدينة سرت وراءها حتى وصلت إلى باب القصر فوجدت الجنود مزدحمة عند بابه ووجدت دخولي مستحيلاً وإلا لدخلت مدفوعاً بدافع قوي مجهول .

وقد تنبهت في هذا الموقف وتذكرت حياتي

الماضية وتاقت نفسى إلى الاشتغال بعمل ما . وبينما أنا واقف أمام الباب إذ سقط جندى عن جواده . وتصادف أن غيره من الجنود الموجودين معه قد هرعوا نحوه لسبق رؤيتهم إياى فى عيادة الطبيب فدعونى لإسعافه . ولم أكد أسمع هذه الدعوة حتى ظهرت بمظهر الأطباء وسرت نحو المصاب فبدا لي أنه قد فقد الحياة .

وكان جندى فى ذلك الوقت يسكب الماء على صدره وآخر ينفخ فى وجهه دخان التبغ لكى يفيق وثالث يدلك يديه ورجليه . لكن عند ما لمست بيدى هـذا المصاب كفت سائر الأيدى عن لمسه وجسست نبضه وقلت كما اعتاد الأطباء أن يقولوا : « إنه الآن فى حالة شديدة والموت والحياة يتنازعانه »

فاستعد السامعون لأسوأ الأمرين ثم أمرت بأن يهز المريض هزاً عنيفاً ليظهر هل هو أقرب إلى الحياة أو الموت، فصدع الجنود بأمرى وهزوه ولكن بغير جدوى

وبينما نحن كذلك إذ حدث ما لم أكن أنتظره، وأقبل الطبيب الأجنبى وأبعدنا عن المريض وهو يقول : « ماذا تفعلون ؟ يجب أن يحجم المريض الآن وإلا فلن يعيش »

فتظاهرت بالعلم ونسبت الجهل إلى هذا الطبيب وقلت : ماذا تقول ؟ نحجمه ! أهذا هو الطب الجديد ؟ ألا تعرف أن الموت بارد وأن الدم حار ، وأن أول مبدأ فى الطب ألاّ نعالج مريضاً بارداً بدواء بارد ؟ أبهذا أمر أبقراط أبو الطب . إنك إن حجمت هذا المصاب فسيموت فى الحال »

ففحص الطبيب المريض ثم نظر إلىّ وقال : « لقد كفانا الله شر الجدال فلا دواء حار ولا مرض بارد . إن الرجل قد مات »

قلت : « إننا معشر الأطباء لا نملك تغيير الحظوظ ولا مد الآجال »

وبعد لحظات جىء بالملاّ (الشيخ) فأمر بأن يدار وجه الميت إلى القبلة وتربط قدماه بعضهما إلى بعض . وكذلك ربط وجهه بقطعة من القماش وضعت تحت ذقنه وأحكمت عقدتها فى وسط رأسه . ثم نادى بالشهادتين فكررهما سائر الموجودين . وفى هذا الحين جاء أهل الميت فأخذوا ينوحون ويندبون كما هي العادة . ثم جىء بنعش فنقلت الجثة إلى منزلها وبالسؤال وجدت أن الميت كان « نارا كشى » وهى وظيفة تطلق على مساعدى الجلاد وعددهم مائة وخمسون ، وهم يذهبون مع الشاه فى روحاته وغدواته وينحون الناس عن الطريق ويؤدون واجبات الحرس الملكى الخاص

وحدثتنى نفسى بأن أحل فى تلك الوظيفة التى خلت بموته لأنها خير من معاونة الطبيب فى مزج الأدوية والعقاقير . وذكرت أن الجلاد صديق حميم لميرزا أحمد وقد كان عنده منذ أيام قلائل وأقنعه بأن يقسم أمام الشاه بأن النبيذ دواء ضرورى للمحافظة على صحته فأباح شيخ العلماء لجلالته أن يتعاطى النبيذ بناء على هذا القسم

قلت فى نفسى : « إذا أمكننى الحصول على تلك الوظيفة فان اتصالى بزينب يعود أكثر مما كان وينقلب سوء حظى إلى سعادة غير منتظرة

الفصل الثانى والثلاثون

مراحى بابا يصير جلاداً

فى صباح اليوم التالى تقدمت إلى ميرزا أحمد ورجوته أن يكلم الجلاد فى شأنى لكى يعينى فى مكان « النازا كشى » الذى مات بالأمس . وألححت عليه ألا يهمل هذه الفرصة لأن الشاه سيذهب بعد أيام قليلة إلى قصره الصيفى وسيرافقه الطبيب كعادته، فاذا لم ألتحق بهذا العمل الآن فانى سأبقى مدة الصيف عاطلاً

وكان الطبيب لا يزال يتألم من نفقات الوليمة التى أقامها للشاه . وعزم على أن يقتصد فى نفقات المنزل . وكنت أجدر الناس بأن يوفر الطبيب على نفسه نفقات طعامه . فوعد بمساعدتى فى هذا الأمر قال إنه سيكلم الجلاد فى الصباح وسيخبرنى بنتيجة المقابلة بعد صلاة الظهر فى القصر الملكى

وبعد أن صليت الظهر ذهبت توآ إلى القصر واستأذنت فى الدخول إلى غرفة الجلاد وهى واقعة أمام الباب الكبير . وكان أمام هذه الغرفة عدد كبير يظهر أنهم جميعاً كانوا يطلبون تعيينهم بهذه الوظيفة ، وكان الجلاد فى غرفته يصلى . وفى الغرفة أيضاً صديق عسكرخان شاعر الشاه ، وأمين القصر وكان الثانى يصف للأول حادث الأمس ويسرد عليه تاريخ النازكشى

ولما فرغ الجلاد من الصلاة قال للشاعر إن ما يقوله أمين القصر كذب بحت وإن الوفاة لم تحدث على الصورة التى وصفها . ثم أخذ يقص هو القصة مصححاً لما قيل فكان أشد مبالغة وكذباً ، وكان مما قاله أن الرجل لم يمت إلا بناء على غلطة الطبيب الأجنبى لأن الطبيب الفارسى (وهو بذلك يعنينى) كان قد أعاد إليه الحياة بأن هزه هزات عنيفة ولكن الأجنبى الكافر فصده فمات للحال

وفى أثناء هذا الحديث دخل ميرزا أحمد غرفة الجلاد وسمع هذا الجزء من الحديث فأيده ثم أشار إلى وقال : « هذا هو الذى أعاد الحياة إلى النازكشى الذى كان سيظل حياً بيننا إلى الآن لولا جهل الطبيب الأوربى أو سوء نيته

عند ما قال ذلك اتجهت إلى العيون واشرأبت الأعناق ودعيت لكى أقص القصة كما حدثت فلفقتها لكى تكون قريبة مما سمعت وتظاهرت بالألم الواسع الذى استفدته من ميرزا أحمد رئيس الأطباء وأكثرت من القول فى مدحه والثناء عليه حتى بدا عليه الطرب وتملكه الزهو وكافأنى على ذلك بمدحى عند الجلاد وبتأكيد الوصية

فأظهر الجلاد دهشته وقال : « لست أفهم كيف يطلب طبيب بارع مثل هذا أن يصير جلاداً »

فنظر إلىّ الشاعر ثم نظر إلى صديقه ميرزا أحمد وقال : « لا مانع من ذلك ولا ضرر فيه فان كلا الرجلين من نوع واحد فان الموت بالعقاقير لا يختلف شيئاً عن الموت بالسيف »

قال ميرزا أحمد للشاعر : « أما وقد اخترت هذا النهج من الكلام فان الشعراء حكمهم كحكم الجلادين والأطباء كما تقول فهم يقتلون شهرة من يهجونهم »

وقال الجلاد : « يظهر أن كليكما يريد مزاحتنا فكونا كما شئتما ولست أنازعكما فى القدرة على القتل ولكن اتركا لنا الروح المسكرية . إنكما تستطيبان رائحة الورد ولسنا نستطيب إلا رائحة البارود

وهز أعطافكما صوت البلبل ولكن لا يطربنا غير صوت المدافع »

قال أمين القصر : « إن كل إنسان يعرف مزاياكم جميعاً وقد قدر الشاه لكل منكم المنزلة التي يستحقها على هذه المزايا والمواهب . ثم نظر إلى الطبيب والشاعر وقال : « ها هي ذي دولة روسيا تشاكس إيران ، فأيكما يستطيع إفهامها منزلتنا . هل تغني العقاقير أو الشعر عن السيف والمدفع في قتال الروس ؟ »

فقال الجلاد : « بل ليس لذلك غير الجنود » . ثم اعترته رعشة من الخوف الذي كان يحاول إخفاءه وقال : « من هم الروس ؟ إن مثلهم كمثل البعوضة فان الانسان يتأذى منها ويشعر بالمضايقة ولكنه ليس بعييه أن يقتلها ويريح نفسه من أذاها »

ويظهر أنه أراد التخلص من هذا الموضوع الذي لم يلائم مزاجه فالتفت الى وقال : « لقد قبلت رجاء ميرزا أحمد وعينتك في الوظيفة الخالية على شرط أن تكون لديك شجاعة رستم وقوة الأسد ونشاط النمر وأن يكون أحب الروائح عندك رائحة البارود وأشجى الأصوات صوت المدفع »

ثم أمرني أن أذهب إلى نائبه ليقلدني أعمال الوظيفة ويتخذ الاجراءات الرسمية لتعييني

وذهبت إلى هذا النائب فوجدته مشتغلاً بإعداد المعدات لانتقال الشاه إلى مصيفه . ولما عرف أنني الذي عينت في وظيفة النازكشي الذي مات أمر بتسليمي جواداً وأوصاني بالعناية والحرص على حياته ، وأمر باعطائي كذلك ثوباً رسمياً وأخبرني أن راتبي السنوي هو ثلاثون طومانا

وقبل أن أتقدم خطوة في سياق القصة أريد أن أصف للقارئ شخصية الجلاد مراد خان (نازا كشي باشا) ونائبه . أما الأول فكان طويل القامة عريض الكتفين كبير العظام يبلغ الخامسة والأربعين من العمر . ولكنه مع ذلك لا يزال محتفظاً بالشباب والقوة . وهو كبير عظام الوجه غليظ الحاجبين أسود الشعر كبير اللحية طويل الشاربين كبير الكفين

وكانت تبدو على وجهه هيئة تبعث الخوف في نفوس الأشرار . وكان الرجل منهمكا في ملذاته يسمع في بيته الغناء وتدق الطبول كل ليلة من الغروب إلى الشروق ويشرب النبيذ في الصباح وفي المساء ولا يبالي بعداوة العلماء ويسخر بهم

وكان يحمي المغنين والراقصين فما يجسر أحد من أهل المدينة على عداوة واحد منهم . وكان من أشهر الفرسان ويعتقد كل إنسان رآه أنه كبير الشجاعة والاقدام ولكنه كان في الحقيقة جباناً . وإنما اعتاد أن يخفي جبنه بكثرة الادعاء والمفاخرة حتى ظنه الناس بطلا من أبطال عصره

وكان نائبه رجلاً غليظاً ذا مظهر خشن . وكان يعرف أخلاق رئيسه فاعتاد أن يتملقه ويقول إنه ليس في إيران من يستحق أن يلقب بالرجل غير الشاه وجلاده .

وقد أدركت أن أقوى خلق فيه هو الحسد وخشيت أن يضع العراقيل أمامي لأنني عينت في هذه الوظيفة دون أن أقدم هدية إليه أو أستعين بوساطته ، فحاولت أن أصرف عن نفسي أذاه بأن أتملقه كما يتملق رئيسه وأدركت أنني على كل حال أطلق منه لساناً فصرت أقول إنه من صفوة الضباط وإن لديه الصفات التي تؤهله أن يكون جلاد المستقبل .

فاستراح النائب لهذا القول وعدّهُ فألاً حسناً وقال لى إنه إذا تولى فى المستقبل عمل رئيسه فسوف يرفع منزلتى لما يتوسمه فىّ وإنه يرى مؤهلاتى التى أستحق بها الرقى . وكنت إلى ذلك الوقت لا أزال مقيماً بمنزل الطبيب حتى جاء الوقت الذى سيسافر فيه الشاه إلى مصيفه. ووجدت فى وظيفتى الجديدة تسهيلاً كبيراً فى السوق فكلما أردت شراء شىء وجدت من يقدمه لى بالنسيئة أو هدية .

وكنت فى حاجة إلى أشياء أخرى لا يمكننى الحصول عليها بهذه الطريقة فحصلت عليها بطريق الحيلة، فمن أمثلة ذلك أننى كنت فى حاجة إلى سرير وما يلزم له من الفراش، فذهبت إلى أهل مريض كنا نعالجه فمات وعزيتهم فيه وقلت : إننا لم نقصر فى علاجه ولكن يظهر أن الله لم يمن عليه بالشفاء بسبب هذا السرير لأن فراشه كان من الحرير والحرير غير جائز الاستعمال للرجال ولأن عجلات هذا السرير لم تكن متجهة نحو القبلة .

ولما كان أهل الميت على درجة كبيرة من البساطة والسذاجة فقد اقتنعوا بهذا التعليل واستغنوا عن السرير فأخذته

ومن أمثلة ذلك أنى كنت فى حاجة إلى مرآة ووجدت أحد المرضى ينظر فى مرآته ويتحسر على نفسه لما أصابه من الهزال والشحوب بسبب المرض فأقنعته بأنه ليس به شىء مما يشكوه وأن وجهه كالوردة اليانعة ولكن العيب فى المرآة . وصدق الرجل قولى فرمى المرآة وأخذتها .

وكنت فى حاجة إلى حقيبتين لأضع فيهما ثيابى وكان عند ميرزا أحمد حقيبتان فى عيادته ولكنه شديد البخل ولا تنطلى عليه مثل هذه الحيل التى اتبعتها مع غيره فكنت كلما دخلت إلى مكانهما ورأيتهما مهملتين أخذت أتأمل فيهما وأفكر فى وسيلة للحصول عليهما وأنا آسف على أنى لم أرزق من سعة الحيلة مثل ما رزقه الدرويش صفر فأنال ما أردت بغير تعب ولا إجهاد خاطر .

وأخيراً بدت لى فكرة فنفذتها ونلت بها ما كنت أريد، وذلك بأن وضعت فى الحقيبتين كلاباً حديثة الولادة . فلما سمع عواء الكلاب فى غرفته تشاءم . وكان زواره مزدحمين إذ ذاك فى غرفته فاختلفوا فى تعليل الصوت وتشاءموا منه وصاروا يبحثون عن مصدره حتى أدركوا أن الكلاب فى الحقيبتين فلم يسع الطبيب غير أن يرمى بهما فى الطريق فأخذتهما .

وسرت على هذه الطريقة حتى توافر لدى ما أنا فى حاجة قليلة أو كثيرة إليه . ولما اقترب الموعد الذى سيسافر فيه الشاه كنت على أتم استعداد للذهاب معه .

الفصل الثالث والثلاثون

هاجى بابا فى حاشية الشاه

أخيراً حدد المنجمون الموعد الذى يحسن أن يسافر فيه جلالته وهو اليوم الحادى والعشرون من شهر ربيع الأول فانتقلنا إلى قصره فى السليمانية وهى تبعد تسعة فراسخ عن طهران

وكان مع جلالته حرسه الخاص وفرقة من الهجانة وأخرى من الفرسان ، وكان فى حاشيته الوزراء ورجال البلاط وبعض كبار الموظفين

وفى اليوم الذى سافرنا فيه خرج من المدينة أكثر من ثلاثة أرباع أهلها لرؤية الموكب الملكى وتشييعه إلى خارج المدينة

وكان الأجانب المقيمون فيها لشدة دهشتهم من هذه الحركة غير العادية يحسبون أهل البلد سيهاجرون منها . وقد قدم كل ميسور الحالة منهم ما استطاع أن يقدمه من الهدايا للشاه بمناسبة سفره ، فكنت ترى وراء الموكب عدداً كبيراً من الجمال والبغال على ظهورها المؤونة والأمتعة المهداة إلى جلالته من مخلصي رعيته . وكنت تسمع هتافهم مقروناً بصوت الأجراس المعلقة فى رقاب الجمال

وفى صباح اليوم الذى حدث فيه السفر اشتغل كل السقائين فى طهران بحركة الكنس والرش فى الطريق الذى سيسير فيه الموكب . وأمر الفلاحون الذين جاءوا كالعادة بمتاجرهم إلى المدينة — بأن يسلكوا طريقاً آخر ، ولم يسمح لأية امرأة بأن تقف فى الطريق أو تطل من النافذة فى أثناء مرور الموكب خشية أن تقع عينها على جلالته فيصيبه سوء لأن النساء متهمات بالحسد فى هذه البلاد

وقد وجدت في نفسى كفاية واقتداراً عجيبين فى المحافظة على النظام فصرت أطرد الناس من أمام الموكب ضارباً إياهم بالسياط على الأوجه والرؤوس والظهور فى غير ضعف ولا خوف حتى أعجب بى سائر الجنود وتساءلوا أى شيطان هذا الذى جئ به لينضم إلى زمرتهم . ونظر إلىّ رئيسى نظرات تدل على الرضى . وكنت شديد الشغف بأن أنال حظوة فى هذا المركز الجديد لكى أندرج فى سبيل الرقى إلى أعلى منه

وكان يتقدم الموكب جنود يلبسون ثياباً محلاة بالذهب ووراءهم فرقة الحرس الخاص ثم الوزراء والضباط بالأوسمة المرصعة والنياشين وفى وسطهم الشاه على ظهر جواده ، ووراءه فرقة الشاة ، ووراءها فرقة الجمالة

وكنت قد علمت فى صباح يوم السفر أن زينب نقلت من قصر الشاه إلى قصر آخر خارج المدينة على سفح الجبال التى تحيط بها لتتعلم فيه الرقص والغناء ، فلما مررنا بذلك القصر نظرت إليه وأسفت على حظ تلك الفتاة لما سوف تتعرض له من المخاطر

وذكرت ما قالته لى « نورجيهان » من أن الشاه أمر قبل سفره بأن تزاد العناية بتعليم زينب حتى إذا ما عاد من مصيفه فى أوائل الخريف استطاعت أن تغنى وأن ترقص أمامه

ولو لا أننى فى الموكب لما اكتفيت بالالتفات إلى ذلك القصر بل لذهبت إليه ووقفت تحت نوافذه أنتظر اجتلاء طلعتها عند سنوح الفرصة

وبعد أن سار الموكب يوماً كاملا وصلنا إلى الجهة التى كنا نريد الوصول إليها . ونصبت لنا الخيام على مقربة من مصيف الشاه . وكان معى فى الخيمة خمسة من الناز كشية كنت عرفتهم فى المدينة ولكن صداقتنا تأكدت فى هذه الخيمة الضيقة التى لا يزيد طولها على خمسة أمتار وعرضها على أربعة

وكان لنائب الجلاد الذى تقدم وصفه مساعد هو رئيسى المباشر واسمه «شمير على بك» ولا أجد بداً من أن أجمل له نصيباً فى هذه القصة لأنه رفع منزلتى ونوه بى فى مجالس الكبراء والحكام

وكان هذا الرئيس من شيراز ، وعلى الرغم من الكراهية المتبادلة بين أهل مدينته وأهل مدينتى ، فقد توطدت بيننا المحبة إلى حد لم أكن أنتظره . وكان هو البادئ متطوعاً إذ لمح على وجهى فى يوم من أيام الحر الشديد أننى ظمآن ، وكان معه قاووزة فكسرها وأعطانى قسماً منها ، ودعانى فى يوم آخر لكى جواده لما علم أن لى دراية بمبادئ الطب ،

وأهدى إلى غليوناً وتبغاً ، ثم أخذنا نتبادل المودات حتى صارت علاقتنا علاقة الصديق بالصديق

وكان شمير على بك يكبرني بثلاثة أعوام وهو طويل القامة جميل ذو لحية صغيرة بيضاوية ، له خصلتان جميلتان من الشعر تنسدلان وراء أذنيه كأنهما عنقودان من العنب يطلان من ثنايا الكرمة . وقد استفاد من مدة خدمته تجاريب كثيرة فلما دار بيننا الحديث عن وظائفنا أدهشني ذكاؤه وعلمه وزاد اعتزازي بهذا العمل الجديد

قال لي : « لا تحسب أن أحداً من موظفي حكومة الشاه يعتد قليلا أو كثيراً بالراتب الذي يعطاه بل كل مايعتد به أحدنا هو اقتداره على الانتفاع بالظروف التي يهيؤها له منصبه . وأنت ترى على سبيل المثل أن راتب الجلاد لا يزيد على ألف طومان في العام ولكنه ينفق خمسة أضعاف هذا الرقم أو ستة أضعافه وهو يتناوله بنظام في بعض الأشهر ولكن ربما مضت أشهر لا يتناول فيها درهما ، وليس في ذلك شيء يهمه لأن اعتماده كما قلت لك على موارد أخرى فكثيراً ما يغضب الشاه على بعض الكبراء أو الوزراء فيأمر بجلدهم وأنت تعرف أن قليلا من القسوة في تنفيذ هذا الحكم قد يؤدي إلى القتل وأن الرأفة في تنفيذه تجعله عديم الأهمية . ومتى عرفت أنه لا يمر يوم واحد دون أن يجلد عظيم أو عظيمان أمام الشاه أمكنك أن تقدر ربح الجلاد مما يدفعه له المحكوم عليهم لكي يخفف عنهم العقاب ، وينفذ الجلاد أحكام القصاص بخلع الضرس واقتلاع العين فاذا لم يعط مكافأة قيمة اقتلع أعين المذنبين بالخناجر فقتلهم بما يقطعه من عروق الرأس وإذا أعطى المكافأة التي يرضاها جرح الأعين دون أن يطفئ نورها . وفي ذلك مورد كبير للربح ولكن المورد الذي لا يمكن تقدير جسامته هو في الهدايا التي ترسل إلى الجلاد بنظام من كل الوزراء والوجهاء والعظماء الذين يتوقعون أن يأمر الشاه بجلدهم في وقت من الأوقات فيشترون مودة الجلاد بما يرسلونه إليه من الهدايا والهبات . وكثيراً ما تتمرد قرية أو قبيلة فيذهب الجلاد على رأس فرقة لينفذ فيها إرادة الشاه ولا تسل في هذه الحالة عما يجنيه من الربح ليترك بعض الرؤوس ويأتي بالبعض ويحرق جانباً من المزارع ويعفو عن الجانب الآخر .

قال لي مساعد النائب : « قبل أن أتقلد عملي هذا كنت رقيق القلب أعرف معنى الرحمة وأقدرها وفي أول عهدي بتنفيذ الأحكام صرت لا أضرب المجلود على قدميه بل على الخشبة التي يربط عليها الساقان ولم يعلمني القسوة غير الحادث الذي سأذكره لك:

« في يوم من الأيام غضب الشاه على أمين القصر فأمر بجلده وكلفني وأحد الناز كشيين بجلده أمام جلالته . وأمر على سبيل الاستثناء بأن تفرش سجادة تحت أمين القصر عند جلده

« فلما أردنا أن ننزع عن المذنب عمامته وشاله قبل أن نطرحه على الأرض لتنفيذ الحكم همس في آذاننا بأنه سيدفع لكل واحد عشرة طومانات إذا رحمناه في تنفيذ الحكم فلم نصغ إليه وضربناه في أول الأمر بعنف لم نضرب أحداً قبله بمثله فصار يستغيث ويتأوه ويشير لنا بأصابعه أنه سيزيد المبلغ إلى عشرين ثم إلى ثلاثين ثم إلى خمسين ، ثم أشار بيده في النهاية بأنه سيقبل حكمنا أيا كان هذا الحكم فخففنا عنه

« ولما انتهت العقوبة انقلب السخاء الذي كان يبديه ونحن نجلده إلى شح شديد . ولم يقبل أن

يدفع لنا أكثر مما عرضه أولاً . وقد كان بوده ألا يدفعه لولا خوفه من أن تعود الكرة

« ومنذ ذلك العهد أصبحت شديد القسوة على من أتولى عقابهم إلا إذا نلت منهم مقدماً شيئاً من المال »

سمعت أحاديث كثيرة رواها شمير على بك على هذا المنوال فتعرفت أسرار المهنة التى ازداد حبى لها وحرصى عليها وصرت لا أحلم بشىء سوى الكسب من أى طريق . ولما كان أهم طريق ينيل الكسب من هذه المهنة هو القسوة فقد عزمت على أن أقتلع من نفسى جذور الرحمة حتى أصير كأى سبع من سباع البرية وألا أشعر نفسى شعوراً غير القسوة والشر . ولما اعتدت ذلك صرت لا أحب شيئاً غير تقليم الآذان وجدع الأنوف وفقء الأعين. وهان على أن أعذب أقرب الأقرباء ولو كان فيهم أبى

الفصل الرابع والثلاثون

ذكرى الأسر

أخذت أوازن بين حالتى هذه فى خدمة الشاه وبين حالتى وأنا فى أسر التركمان فقلت فى نفسى : « الفرق بين الحالتين أننى كنت أولا من فريق المغلوبين وأننى الآن من الفريق الغالب، ولا أعرف لأى سبب من الأسباب أخذت فى سبيل المفاضلة بين الحالتين

وبينما أنا كذلك إذ أقبل علىّ شمير على بك وقال : « يظهر أن الله يريد بك خيراً فقد تهيأت لنا فرصة ربما رفعتك إلى مستوى عال من الرقى إن شاء الله »

ثم أخبرنى أن مدينة سوار الواقعة بين السليمانية وبين همدان لم ترسل الضريبة المفروضة عليها فى هذا العام . وأرسل حاكمها يعتذر عن ذلك بأن أحد الأمراء ذهب إلى تلك المدينة من مدة قصيرة ليتلهى بالصيد فأقام فيها بضعة أيام أخذ فى خلالها هو ورجاله كل ما أنبتته المدينة وما ربحه أهلها ، وقد أمرت بأن أذهب لتحقيق هذا القول وآتى بالحاكم والمسئولين من رجاله وتركت لى الحرية فى اختيار من أستصحبه معى ، فاخترتك لثقتى بك فاستعد للذهاب معى فانى ذاهب فى صباح الغد

سررت لاختيارى عاجلا لأداء مهمة ، وكنت بطبيعة الحال لا أعرف الخطة التى رسمها شمير بك ولكننى وثقت بالنظر لما سبق أن أخبرنى به من أن خطته ستعود على وعليه بالربح الطائل وخشيت أن يكون حاكم المدينة قد صدق فيما قال وأن يكون الأمير قد غادره وأهل مدينته من الفقر بحيث لا نستطيع أن ننال شيئاً منهم

على أننى استعددت للسفر فقمت فى الحال إلى جوادى فنظفت سرجه ولجامه ومسحت شكيمته ولم أستطع الامتناع عن مقارنة نفسى به وقلت : « إنك مثلى أيها الجواد وستصبح فى الغد حراً تفعل من الشرور ما بدا لك »

وخرجت فى الصباح الباكر مع شمير بك وقد فاتنى أن أذكر أن لقب « بك » عند الايرانيين غيره عند الأتراك ، فالايرانيون يطلقون هذا اللقب على كل جندى ولذلك كنت أنا أيضاً من حملة هذا اللقب على الرغم من أن راتبى الشهرى لا يتجاوز ثلاثة طومانات

خرجت فى الصباح الباكر مع شمير على بك

وكنت قد اقترضت سلسلة وضعتها فى حزامى ووعدت الذى أعارنيها بأن أحضر له هدية ثمينة عند عودتى ويظهر أن جميع الجنود الايرانيين كانوا يعرفون ما وراء هذه المهمات من الكسب ولذلك رأيت ممن استمرت منه إقبالا وثقة ورغبة فى إقراضى كأنه واثق بأنى لن أعود فقيراً كما ذهبت

قضينا طول النهار فى السير ونمنا ساعتين من الليل فى قرية بالطريق ثم واصلنا السير ووصلنا إلى المدينة التى كنا نريدها فى ساعة الفجر، وكان النساء فى هذا الوقت قد خرجن من بيوتهن لخدمة الأرض وكن ينشدن الأناشيد كعادتهن فلما رأيننا سكتن وغطين أوجههن وكنت أتمنى أن يرى القراء وجه شمير على بك فى هذه الحالة فقد كان أحذق من أى ممثل فى الوجود فى تمثيل العظمة حتى غلب خوفى منه على معرفتى به وحتى كدت أنخدع عنه. وكانت اللهجة التى يتكلم بها لهجة المسيطر النافذ الكلمة وسأل عن عمدة المدينة فأرشدنا النساء عنه؛ ووجدناه رجلا فى ثياب بسيطة أشيب الشعر رقيق الحالة، ولما رآنا سلم على شمير بك خاضعاً متواضعاً ثم ساعدنا على النزول عن جوادينا وأمر رجاله بأن يأخذوا الدابتين ودعانا إلى دخول منزله. وخلع بيديه حذاءينا كعادة المضيف حين يريد إكرام ضيفه العظيم الخطر

وقد قابل شمير بك كل هذا العمل بكبرياء عجيبة كأن المضيف لم يفعل غير ما هو واجب عليه نحوه

وبعد أن صعد شمير بك أنفاساً من غليونه قال بلهجة التأكيد: « اعلم يا عمدة أننا جئنا من قبل الشاه لنعلم كيف منعتم الضريبة هذا العام، فأجبنى جواباً صريحاً وبيض وجهك أمامى »

قال العمدة: « إن الذى كتبته إليكم سأعيده الآن، وكل هؤلاء الموجودين يعلمون أنه صدق »

وأشار إلى أهل القرية الذين جاءوا ليرحبوا بنا ثم قال: « إننى أقسم بعينى أننى صادق وأسأل الله أن يعمينى إن كنت كاذباً، وأنت أيها السيد رجل بعيد النظر رحيم الصدر واسع الفكر مسلم تخاف الله، فسأقص عليك الأمر وأترك لك حكمك »

قال شمير بك: « قل وأنا خادم الشاه فعلى تنفيذ حكمه واتباع رأيه وليس لأحد حكم ولا رأى »

فقال العمدة: « كلنا خدم الشاه وعبيده ولكنك حاكم مطاع الأمر، مسموع النصيحة، مقبولة مشورتك فأتوسل إليك أن تسمع: منذ ثلاثة أشهر كانت أعواد القمح فى هذه المزارع تبلغ المتر ارتفاعاً وكانت الأغنام كثيرة فى المراعى فجاءنا خادم وقال: إنه آت من قبل الأمير « دمير ميرزا » وإن سموه سيأتى فى اليوم التالى لكى يتاهى بالصيد لأن فى الوديان القريبة منا وعولا كثيرة وغزلاناً وحميراً وحشية. وأبلغنا هذا الخادم أن الأمير يريد إخلاء منازل فى المدينة له ولرجال حاشيته

فلما علم أهل المدينة بذلك استولى عليهم الفزع ولم نجد حيلة مع هذا الخادم ليصرف عنا شر هذه الزيارة وقد حاولنا أن نرشوه فلم يقبل الرشوة، ولم يسعنا إلا أن نخلى المنازل والمدينة تجنباً للسوء ولجأنا إلى الجبال حتى تنصرف هذه المحنة، وأنت تعرف النكبة التى تحيق بفلاحين مساكين كهؤلاء الذين تراهم حين يضطرون إلى مغادرة المزارع وكل ما فيها والمنازل وما اشتملت عليه، وأنت بلا شك تشعر بالرحمة لنا ويكاد قلبك ينفطر علينا حناناً وعطفاً »

قال شمير بك: « ما الذى تعنيه بذلك؟ إن

واجبكم يقضى بأن تسهروا على خدمة الأرض المملوكة للشاه لكى تستطيعوا دفع الضرائب له . وأنتم هربتم من أرضه وأهملتموها ثم تزعمون أنكم تستحقون العطف والرحمة ؟ »

فقال العمدة : « أتوسل إليك أن تصغى إلى حديثي حتى آخره . لقد حملنا على ظهور الأغنام والمواشى كل ما استطعنا حمله من الحبوب لما انتقلنا إلى الجبال وسكنا فى كهوف بها قريبة من مجرى النهر ولم نترك فى المدينة غير ثلاث عجائز وغير القطط »

قال لى شعير بك : « هل تسمع ياحاجى بابابك ؟ إنهم يقولون إنهم أخذوا ما يستعزون به وتركوا عجائزهم للأمير . هل سمعت فى حياتك شيئاً كهذا ؟ ثم نظر إلى العمدة وقال : « استمر »

فاستمر العمدة يقول : « وظللنا نرسل جواسيس بين حين وحين ليخبرونا عما فعله الأمير بالمزارع وقد أخبرونا أن الأمير لما علم بتركنا المدينة هاج وغضب أشد الغضب وأرسل إلى أتباعه ليكسروا أبواب المنازل عنوة فلم يجدوا مقاومة إلا من عجوز كان لا يزال عندها من القوة ما ساعدها على مغادرة الفراش ، وقد أبدت شجاعة عظيمة فى تأنيبهم وإسماعهم ما يكرهون من قوارص الكلام »

قال العمدة : « وقد سكن الأمير فى منزلى وأرسل إلى أهل القرى المجاورة يأمرهم بأن يبعثوا إليه بما يلزم جنوده من الفمح . فأرسلوا إليه وفوده تبلثه خجلهم مما فعلنا وسخطهم علينا ؛ وبعثوا إليه مع هذه الوفود ما جنوه من مزارعنا ، وأفهموه أن هذه مزارعهم وأن الذى أرسلوه هدية منهم وأخذوا لأنفسهم سائر ما فى المزارع

فأنت ترى يا رسول الشاه أننا جردنا من كل شىء وأنه لم يبق لنا غير رحمة الله وعطفكم .

فوقف شعير على بك مغضباً وأمسك بلحية العمدة وقال : « ألا تخجل أيها الأشيب من التفوه بهذه الأكاذيب ؟ ألم تقل لى منذ لحظة إنكم حاتم على ظهور الغنم والماشية ما اعتززتم به ثم تنسى قولك فى الحال وتدعى أنه لم يبق لكم شىء . إذا كنت تظن ياعمدة أنك تستطيع الضحك على ذقوننا فانك تخطئ وسنعلمك هول خطئك إن كنت لم تعلمه إلى الآن . أنت لا تعرف شعير على بك ولا تعرف أننا من أناس يتام أحدهم باحدى مقلتيه ويسهر بالأخرى . أنت إذا استطعت أن تخدع سائر الناس فليس فى وسعك أن تخادعنا فافطن إلى نفسك »

قال العمدة : « أعوذ بالله أن أكون قد فكرت فى خداعك أو خداع غيرك فانى آخر من يخطر الخداع بباله . إننا عبيد الشاه وكل ما فى أيدينا فهو مملوك له ولكننا جردنا فلم يبق معنا شىء ولست أسألك إلا أن تذهب إلى المزارع فتراها بعينيك ثم تأتى إلى المخازن فترى هل فيها شىء مدخر ؟ »

فقال شعير بك : « سواء أجردتم أم لم تجردوا وسواء أكان لديكم قمح أم لم يكن لديكم فانه ليس أمامنا غير طريق واحد وليس فى فمنا غير كلمة واحدة هى أن ما أمر به الشاه يجب أن ينفذ وإلا فتأتي معنا أنت ورجالك إلى السليمانية حيث تقابلون الشاه »

بعد هذه الكلمة تداول العمدة مع رجاله همساً وهم واقفون فى ركن من الغرفة ، وكنا فى ذلك الوقت ندخن ونظهر عدم المبالاة ونبدى من العظمة ما نضحك بيننا وبين أنفسنا من إبدائه

وأخيراً أعلنوا نتيجة مداولتهم وحاول العمدة أن يستلين قلبي وحاول رجل آخر غيره أن يستلين

قلب شمير بك، وقد أكد لى العمدة أننى أكره كل خلق الله، وأقسم أنه قد أحبنى هو وكل أهل القرية وأنهم جميعاً يعتقدون أننى أنا الرجل الوحيد الذى يستطيع تذليل مصاعبهم

وكنت أظهر الثبات والوقار وأنا أسمع هذا الاطراء، ثم شجعته على التكلم فى التفصيلات فقال إنهم تشاوروا فيما بينهم واجتمعت كلمتهم على أنه من المستحيل أن يرسلوا ما ليس فى أيديهم وأن القليل الذى فى أيديهم لا يصح أن يرسل للشاه ولذلك فهم يرون إعطاءنا ما يرضينا لكى نتولى الدفاع عنهم

قلت له : « هذا كلام معقول ، ولكننى لست الرجل الوحيد الذى أرسل لهذه المهمة وإن استرضائى وزميلى ليس بكفى لأن رئيسنا يجب أن يرضى كذلك وإذا لم يكن قسطه أوفر الأقساط فان جهودنا تذهب سدى ويضيع على أهل المدينة ما دفعوه »

فقال : « لكم علينا أن نعطيكم كل ما معنا واقتسموه أنتم كما تريدون . أما الضريبة فليس دفعها ممكناً بحال من الأحوال لأننا لم نعد نملك غير نسائنا وأطفالنا ، ونظن أنه ليس للشاه رغبة فى أخذ ذلك بدلا من الضريبة »

قلت : « مادام معكم مال كاف تستعدون لانفاقه فانكم بالتون كل رغبة فى نفوسكم . إنكم بالمال تستطيعون أن تشتروا التاج الذى على رأس الشاه . أما إذا لم تدفعوا ما يخلصكم من هذه الورطة فلا تنتظروا غير الجلد »

قال العمدة : « المال ! المال ! ومن أين نأتى بالمال ؟ إننا لا نكاد نكسب شيئاً من النقود الذهبية حتى يأخذه نساؤنا ويجعلنه حلياً لهن ضنابه وحرصاً عليه، وإذا اجتمع لدى أحدنا عشرون أو ثلاثون طومانا دفنها تحت الأرض خوفاً عليها من رغائب النفس ومشتهياتها »

ثم دنا منى وهمس فى أذنى قائلا : « يظهر ياأخى أنك ذكى فأرجو ألا تدعى الغباء . إن الرجل لا يلقى بنفسه بين مخالب الأسد إذا كان فى وسعه أن يتجنب ذلك، فقل لى كم يرضى زميلك هذا (وأشار إلى شمير بك) ، هل يرضى بخمسة طومانات وشالين من الكشمير ؟ »

قلت : « لا أظن ذلك يكفيه وأنا على كل حال أريد خدمتك رحمة بك وإشفاقاً عليك فاجعل الطومانات عشرة واجعل الشالين ثوبين كاملين وسأبذل جهدى معه لكى يقبل »

فقال العمدة : « هذا كثير جداً وقريتنا كلها لا تساوى هذه القيمة فأقنعه بما عرضناه وسنقدم إليك هدية تدهشك »

اشتد شوقى إلى معرفة هذه الهدية التى يعدنى بها ، ولكننى لم أظهر له أنه استخفنى بهذا الوعد فقطعت حديثى معه وقلت لشمير بك فيما بينى وبينه : إن قليلاً من التشدد سيجعلهم ينزلون عند حكمنا ويدفعون الطومانات العشرة والثوبين وإنه لا يتفق مع كرامة الجندى الفارسى أن يقبل من الأعداء أقل من العشرات

ثم قلت للعمدة : « إذا أنت لم تقبل وساطتى ولم تذعن لحكمى فانك ستستحق ما ينزل لك من أنواع العنف . ولا ينفعك صمتك ونظراتك الهادئة »

وبعد فترة استطالوها عادوا إلى الاجتماع بالركن الذى سبق لهم الاجتماع به . ثم تركهم العمدة يتحادثون وخرج وعاد بعد قليل يحمل لنا سلة من التفاح

والفلوخ ومائدة عليها طبق من العسل وآخر من الجبن وتوسل إلينا أن نشرفه بتناول الطعام فى منزله

ثم قال لشمير بك بصوت خافت إنه يرجو قبول خمسة الطومانات والشالين لأنه وأهل قريته أناس فقراء إلى درجة تذوب لها القلوب الرحيمة مثل قلب شمير على بك

واتفقت وزميلى على رفض الطعام وأمرناه بأن يرفع الطعام من أمامنا ، فبدا التأثر على القوم الفقراء وكادت تنحدر من أعينهم الدموع ، وحمل العمدة ما جاء به وهو مطأطىء الرأس ذلاً وخجلاً

وكنا فى هذه الأثناء كلما فرغ الفليون عدنا إلى ملئه واشتغلنا عن النظر إليهم بالتدخين ، وعاد العمدة بعد فترة استطلناها نحن أيضاً ، وسألنا هل نقبل طعامه إذا أحضر عشرة الطومانات والثوبين ؟

فأشار زميلى إشارة القبول وذهب العمدة وعاد سريعاً بالمال والثوبين والطعام ، فأخذ شمير بك ماتم الاتفاق معه عليه ، وبدأنا نأكل ، وانتظرت الهدية التى ستدهشنى ، فلم يقدم لى أحد هدية سوى أن العمدة أخذ يشير لى بحاجبيه وعينيه فقلت له : « أين الهدية وما مقدارها ؟ »

فقال : « انتظر قليلا فهي آتية . إنها لم تتهيأ بعد »

وفى النهاية جاء بالشالين اللذين رفضهما شمير بك فوضعهما أمامي وزاد عليهما كلمات لطيفة راجياً ألا أكسر خاطره وألا أرد هديته

فغضبت وقلت للرجال الذين كانوا لا يزالون بالركن : ألا تعرفون أيها القوم المسلوبو الحياء أننى جلاد وأننى أستطيع إحراقكم وإحراق آبائكم وأذيقكم من الأحزان ما ليس يخطر لكم ببال ؟ ماذا تريدون بتقديم هذين الشالين القديمين لى بعد ما لبسهما جدودكم وآباؤكم من بعدهم ؟ هل أردتم إهانتى بتقديم هذه الهدية ؟ خذوها فى الحال وإلا اضطررت إلى إفهامكم ماذا يفعله النازا كشى إذا غضب »

فهم العمدة بأن يذعن لقولى ويأخذ الشالين ولكن شمير بك تدخل فى الأمر وقال : « أرنى هذين الشالين »

وفحصهما وقال : إنهما جديدان ولاعيب فيهما وقد قبلتهما وجعلتهما مع نصيبى وأنا أشكركم وأسأل الله أن يغنيكم »

فنظر كل منهم إلى الآخر نظرة دهشة واستغراب ولكن لم يجرؤ أحد منهم على التفوه بحرف . وضاع علىّ الجزاء الذى كنت أنتظره لأن مسلك شمير بك ألزمنى الصمت ، وإذا كنت قد خسرت ما كنت أطمع فيه من هدية فلقد استفدت تجربة عظيمة الأهمية هى أن أعرف كيف أعامل أبناء وطنى بعد الآن وألا أثق بمن أدعوه صديقى .

(يتبع) عبد اللطيف النشار

آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف جوته الألمانى

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

وهي قصة عالية تعد بحق من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

وثمنها ١٥ قرشاً

فهرس المجلد الثانى من الرواية

الصفحة	القصة	المؤلف	المترجم
	(العدد ٢٥)		
١	رجل البحر	ه . أ . مانهود	أحمد حسن الزيات
٦	الرجل الذى صنع المعجزات	ولز	دريني خشبة
١٧	الثائر الساذج	ليو تولستوي	محمد لطفي جمعة
٢٤	أعصاب	أنطون تشيكوف	جورج سلستى
٣١	أول ابريل	نجيب محفوظ	
٤٢	بسمة الجيوكندا	ألدوس هكسلى	حسن حبشى
	(العدد ٢٦)		
٦٥	قتل	أرنولد بنت	أحمد حسن الزيات
٧٢	كيد معاوية	دريني خشبة	
٨٠	جنون لحظة		عبد اللطيف النشار
٨٣	الموعظة الأخيرة	إدوار كاترمير	محمد لطفي جمعة
٩٤	آلات الموت الثلاث	تشسترن	(ن . ع)
١٠٠	الفتان الأبيض	ستاكي أومونيير	نظمى خليل
١٠٧	الفلاح والتاجر	تاراشندورى	ابرهيم ابرهيم يوسف
١١٢	ثورة الجهل	يعقوب بلبول	
١١٦	المحتضر	موباسان	كمال الحريرى
	(العدد ٢٧)		
١٢٢	صديق الكلاب	أحمد حسن الزيات	
١٢٥	صمت المهراجا أو ضيعة الهنود	ماري كوريلى	دريني خشبة
١٣٧	الشال الهندي	م . ل . هويكنس	محمد لطفي جمعة
١٥٢	يحكى أن ملكا	طاغور	فخرى شهاب السعيدى
١٥٨	قصة صيف	استيفان زرايج	أحمد فتحى عبد التواب
١٢٥	شمعدانات الأسقف	لنورمان ماكنيل	« الناقس »
	(العدد ٢٨)		
١٧٨	الدواء الذى يخلق العبقرية	ماكس بمبرتون	دريني خشبة
١٩١	إن عادت الحية	هنرى بارنابس	محمد لطفي جمعة
٢٠٥	الذكرى	نجيب محفوظ	
٢١٦	التحرير	طاغور	فخرى شهاب السعيدى

الصفحة	القصة	المؤلف	المترجم
٢١٩	هزيمة	شكرى محمد عياد	
٢٢٤	الجوسق الجبلي	موباسان	كمال الحريرى
	(العدد ٢٩)		
٢٣٤	فينى		ابراهيم عبد القادر المازنى
٢٤٢	حذار إنك مراقب	جوزيف بلاكبير	محمد لطفى جمعة
٢٥٣	إيولاندا — و — وفرنشسكا أو الحسناء والخيال	لويس جولدنج	دريني خشبة
٢٦٨	الصورة المقنعة	جيمس ماجونن	كامل محمود حبيب
٢٧٤	الجنية العاشقة	إميل زولا	صلاح الدين المنجد
٢٧٨	النافذة	بيير لويس	عز الدين عزوزى
٢٨١	الأعمى الذى ارتد بصيراً	أدون بو	نظمى خليل
	(العدد ٣٠)		
٢٩٠	بهيرة		أحمد حسن الزيات
٢٩٤	ليلة الوداع		على الطنطاوى
٣٠٤	فاسينوكين	بلزاك	دريني خشبة
٢١٥	الحب والقتل	أرمان بيكير	محمد لطفى جمعة
٣٢٦	راندا	محمد محمد مصطفى	
٣٣١	النافذة	محمود خيرت بك	
٢٣٥	حاجى بابا فى انكلترا	جيمز موير	عبد اللطيف النشار
	(العدد ٣١)		
٣٤٦	الخاتم		إبراهيم عبد القادر المازني
٣٥١	الصقر	بوكاتشو	محمد كامل حجاج
٣٥٥	أمنية	عبد الحميد جودة السحار	
٣٥٨	شجار أطفال	رشاد نورى	خلف عوقي الداوودى
٣٦٤	مؤذن بغداد		محمد فهمى عبد اللطيف
٣٦٨	ماريوتو	ماسوشيو سالرنيتانو	دريني خشبة
٣٧٣	يوم اللقاء		على الطنطاوي
٣٨٤	الزوجة الموروثة	اسطفان بوريانف	محمد لطفى جمعة
٣٩٢	حاجى بابا فى انكلترا	جيمز موير	عبد اللطيف النشار

(العـدد ٣٢)

الصفحة	القصة	المؤلف	المترجم
٤٠٢	تيمي	إبرهيم عبدالقادر المازني	
٤٠٨	شجرة الكشرى المشورة	بوكاتشو	محمد كامل حجاج
٤١١	سوءحسن النورية	محمود بك خيرت	
٤١٩	ابن الحب	على الطنطاوى	
٤٣٠	الملك والدرويش	وافريد ستابلشيز	محمد لطفى جمعة
٤٤٧	غيرة	سولومون جسنار	محمد عبد الفتاح محمد
٤٥١	حاجى بابا في انكلترا	جيمز موير	عبد اللطيف النشار

(العـدد ٣٣)

٤٥٨	البديل	محمود بك تيمور	
٤٦٥	قلب أم	اندرسن	صلاح الدين المنجد
٤٦٩	لقد أحضرت المركبة	تيودور دي بانفيل	محمد عبد الفتاح محمد
٤٧١	الولد	موباسان	على الطنطاوى .
٤٧٧	سر الحقيبة الصفراء	سيدريك ديمتروف	محمد لطفي جمعة
٤٨٩	صلاح الدين	بوكاتشو	محمد كامل حجاج
٤٩٥	المرأة المدبرة	محمد فهمى عبداللطيف	
٤٩٧	حاجى بابا فى انكلترا	جيمز موير	عبد اللطيف النشار

(العـدد ٣٤)

٥١٣	أهى مجنونة ؟	إبرهيم عبدالقادر المازنى	
٥١٨	المرآة	كاتول مينده	محمد عبد الفتاح محمد
٥٢٠	من ذكريات العراق	على الطنطاوى	
٥٢٥	أجنحة الحب		عبد اللطيف النشار
٥٢٠	سر نجفة القارة المظلمة	تونى كراوس	محمد لطفى جمعة
٥٤١	عواد كريمون	فرنسوا كوبيه	محمد كامل حجاج
٥٥٦	ثمن زوجة	نجيب محفوظ	
٥٥٣	حاجى بابا فى انكلترا	جيمز موير	عبد اللطيف النشار

(العـدد ٣٥)

٥٧٠	تلاثون ألف دينار	على الطنطاوى	
٥٧٨	عواد كريمون	فرنسوا كوبيه	محمد كامل حجاج
٥٨١	أحزان الطفولة	نجيب محفوظ	
٥٨٥	الدخيل	موريس ماترلنك	محمد أمين
٥٩٥	الفتاة القروية	بوشكين	عز الدين عزوزى
٦٠٩	حاجتى بابا فى انكلترا	جيمز موير	عبد اللطف النشار

(العـدد ٣٦)

٦٢٦	الفصل الأخير من المأساة	على الطنطاوى	
٦٢٩	كان لصا		عبد اللطيف النشار
٦٣١	عجوز الصور المتحركة.	بلاسكوا يبانيز	محمد محمود دوارة
٦٤٩	جارسون واحد شوب.	كارديك لاهوفسكى	محمد لطفى جمعة
٦٦٠	عواد كريمون	فرانسو كوبيه	محمد كامل حجاج
٦٦٥	حاجى بابا في انكلترا	جيمز موير	عبد اللطيف النشار

(العـدد ٣٧)

٦٨٢	حرمة القبور	اسبيدار جودورف	محمد لطفى جمعة
٦٩٢	ثروة لم تخطر على بال.	بوكاتشو	محمد كامل حجاج
٦٩٤	الحب فوق الجبل		عبد اللطيف النشار
٦٩٦	شهادة الصلاحية للزواج	بول بورجيه	عبد الله الرياشى
٧٠٥	يد الهندى	لوريمر استودارد	محمد العزاوى
٧١٦	نكث الأمومة	نجيب محفوظ	
٧٢١	المجنونة	ماري بستيري	صلاح الدين المنجد
٧٢٤	الكأس وقطعة النقود	مصطفى صبحى	
٧٣٣	حاجى بابا فى انكلترا	جيمز موير	عبد اللطيف النشار

(العـدد ٣٨)

٨٣٨	مصرع توار كوتو القديس الفاسق	كورلياف	محمد لطفى جمعة
٧٤٩	جبل النار	على الطنطاوى	
٧٥٧	تجربة قاسية		عبد اللطيف النشار
٧٦١	حكمة الموت	نجيب محفوظ	
٧٦٧	كرم	بول بورجيه	كمال الحريرى
٧٧٧	الأول والأخير	جون جالزروثى	سامى الناقص

(العـدد ٣٩)

٧٩٤	العدل والانتقام	ريتشارد وبتجى	محمد لطفى جمعة
٨٠٠	هيكل عظمى	رابندانات تاجور	محمد كامل حجاج
٨٠٥	الخادم	سيميونوف	نصري عطاالله سوس
٨٠٩	الآنية المكسورة		عبد اللطيف النشار
٨١٦	موت الحب	نجيب محفوظ	
٨٢٣	مفارقات الشارع	دون ماركيز	محمد محمود دوارة
٨٣١	ذكرى حب	عبدالحليم محمود العشيرى	
٨٣٨	ابن تاراس بولبا	غوغول	ابراهيم زين الدين

(العـدد ٤٠)

٨٥٠	دير سمبحة	محمود بك خيرت	
٨٥٩	هل مات مسموماً	ليوكوز يانوف	محمد لطفى جمعة
٨٧٠	مشاهدة وجه العروس	تاجور	محمد كامل حجاج
٨٧٣	يوماً واحداً فحسب	أرجند أكرم	عبد اللطيف أحمد

الصفحة	القصة	المؤلف	المترجم
٨٨٠	المنفى		عبد اللطيف النشار
٨٨٣	... ثم جاء الربيع	دوروثى بلاك	فؤاد الطوخى
٨٨٩	الأغلال	پول هرفيو	فليكس فارس

(العـدد ٤١)

٩٠٦	الوصولى	محمود بك خيرت	
٩١٤	فى جوف الليل	طاغور	فخرى شهاب السعيدي
٩٢١	زهرة الجبل	جيوفانى دى نافا	محمد لطفى جمعة
٩٣٠	اللص الثرثار		عبد اللطف النشار
٩٣٤	جنية البحر	جول لمتر	محمد العزاوى
٩٤٠	سارقة الأطفال	إيركمان وشاتريان	صلاح الدين المنجد
٩٤٥	فنان	أدريانو زوكولى	محمد حسني
٩٥٣	الأغلال	پول هرفيو	فليكس فارس

(العـدد ٤٢)

٩٦٢	عاشقة الأحذية	محمود بك خيرت	
٩٦٧	معركة على عروس	جوستاف جيفروا	محمد لطفى جمعة
٩٧٨	التكافؤ فى الزواج		عبد اللطيف النشار
٩٨٥	النار المقدسة	ولتر سكوت	محمد كامل حجاج
٩٩٠	الثلاثة الزاهدون	ليو تولستوى	فخرى شهاب السعيدى
٩٩٥	تحت ظلال الشجر	فرنسيس جيم	فؤاد الطوخى
٩٩٨	منتور الساقين	جى دى موباسان	كمال الحريرى
١٠٠٢	الفرار	هولوى هورن	محمود السيد شعبان
١٠٠٧	حاجى بابا أصفهانى	جيمز موير	عبد اللطيف النشار

(العـدد ٤٣)

١٠١٨	المجنون	محمود بك خيرت	
١٠٢٤	سحر بابل	دربنى خشبه	
١٠٣٠	خمسة أعوام فى عذاب		عبد اللطيف النشار
١٠٣٢	الشريدان	جوستاف جيفروا	محمد لطفى جمعة
١٠٤٤	وقائع مارتان ولديك	ولتر سكوت	محمد كامل حجاج
١٠٤٩	إنتقام رهيب	أونوريه دى بلزاك	عبد الوهاب بحلاق
١٠٥٥	فتاة المصر	نجيب محفوظ	
١٠٦٥	حاجى بابا أصفهانى	جيمز موير	عبد اللطيف النشار

(العـدد ٤٤)

١٠٧٤	الجنة المهجورة	دربنى خشبة	
١٠٨١	فى المصيف	أنطون تشيهوف	عبد الحميد حمدى
١٠٧٦	البيوت الثلاثة	الدكتور محمد بهجت	
١٠٩٠	بعد ثمانية عشر قرنا	بارونس أورزى	محمد لطفى جمعة
١٠٩٩	الثوح	ميخائيلوفتش	فخرى شهاب السعيدى
١١٠٧	حزاء الفضيلة	رشارد نورى	بشير الشريقى
١١١٢	وفاء راقصة	لافكاد يوهيرن	صلاح الدين المنجد
١١١٨	حاجى بابا أصفهانى	جنمز موير	عبد اللطيف النشار

(العـدد ٤٥)

١١٣٠	غرام فنان	دربنى خشبة	
١١٤٤	من قتل أباه ؟	أرثر كونان دويل	محمد لطفى جمعة
١١٥٢	عفو الملك أسركاف	نجيب محفوظ	
١١٥٨	الفن	محمود بك خيرت	
١١٦٥	القاضى السعيد	تولستوى	صلاح الدين المنجد
١١٦٩	حاجى بابا أصفهانى	جيمز موير	عبد اللطيف النشار

(العـدد ٤٦)

١١٨٦	بين العدالة والقانون	دربنى خشبة	
١١٩٦	جرذان الفنادق	أرثر كونان دويل	محمد لطفى جمعة
١٢٠٤	روض الفرج	نجيب محفوظ	
١٢١٣	أحية أم ميتة ؟	« طاغور »	فخرى شهاب السعيدى
١٢٢١	السكيرة	موباسان	كمال الحريري
١٢٢٥	حاجى بابا أصفهانى	جيمز موير	عبد اللطيف النشار

(العـدد ٤٧)

١٢٤٢	الزيف	نجيب محفوظ	
١٢٥٠	مصرع البخيل	كونان دويل	محمد لطفى جمعة
١٢٦٠	الشقي المدلل	تولستوى	فخرى شهاب السعيدى
١٢٦٥	السعادة الذابلة	جوزيف كسل	صلاح الدين المنجد
١٢٧١	البديل	فرنسوا كوبيه	عادل الجمال
١٢٧٦	حاجى بابا أصفهانى	جيمز موير	عبد اللطيف النشار

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبتدئين — عابدين